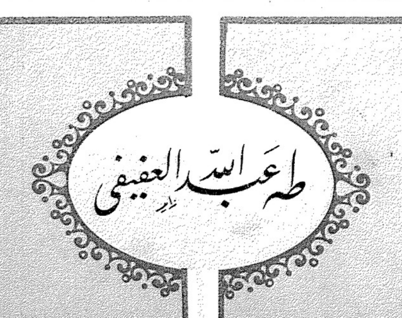

سلسلة الحقوق


حق الحياء


طه عبد الله العفيفي



سلسلة الحقوق



تأليف

طه عبد الله العفيفي

دار الاعتصام



عن عمران بن حصين رضى الله
عنه ،قال : قال رسول الله ﷺ :

« الحَيَاء لَا يَأتى إلاّ بِخَيْرٍ »

رواه البخارى ومسلم

وفى رواية لمسلم :

« الحيَاءُ خيرٌ كُلّهُ »

إهـــــداء :

إلى جميع المسلمين والمسلمات ،

والمؤمنين والمؤمنات الذين يرجون

رحمة الله

أقـــدم : (حـــق الحــــياء)

وكلى أمل فى أن يكون سببا فى حيائهم

الدائم من الله تعالى .

المؤلف

تقديم

اخى المسلم/أختى المسلمة :

والآن وبعد ان وتفتما معى على : حق الله على العباد وحق العباد على الله ، وحق الطريق فى الاسلام ، وحق المسلم على المسلم وحق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها ، وحق الآباء على الأبناء وحق الأبناء على الآباء ، وحق الجار ، وحق السائل والمحروم:

اليكما كذلك الحق الثامن من سلسلة الحقوق ، وهو : (**حق الحياء**) الذى ستريان من خلال عرضه والوقوف على أبعاده انه من أهم الحقوق التى يجب على كل مسلم عاقل ــ ذكر كان أم أنثى ــ أن يكون منفذا لها وعلى علم بأهم ما يتعلق بها من أحكام وآثار واخبار وأشعار . . . حتى يكون من أهل الحياء الذى هو الخير كله كما جاء فى نص حديث شريف صحيح (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

●● واذا كنت بتوفيق من الله تبارك وتعالى قد ركزت فى هذا الموضوع تركيزا ايجابيا بتلك الصورة الحيوية التى ستقفان عليها : فالسبب فى هذا العرض الحيوى ، هو اننى أريد الخير لجميع المسلمين والمسلمات كما اريد الفلاح والنجاح لتلك الأمة الاسلامية

---

(١) رواه مسلم .

التى لا فلاح ولا نجاح لها الا بالخلق الكريم الذى من أهم دعائمه الحياء :

فلا والله ما فى العيش خير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

●● ولسوف تريان كذلك أن حق الحياء ليس مجرد التزام بالاخلاقيات الكريمة ، وانما هو قبل ذلك ومع ذلك وبعد ذلك : سلوك قويم مبنى على أساس متين من العلم والايمان بحقيقة الدنيا والآخرة ، بصورة تجعل الكلف مرتبطا بالمنهج السليم الذى سيجعله سعيدا فى دنياه وأخراه :

وحتى لا أطيل عليكما فى هذا التقديم فاننى ارى أن ابدأ الآن فى عرض نص الحديث الشريف ــ الذى سندور حوله ــ ثم نعود الى شرحه بعد تمهيد موضوعى .

فاليكما :

حــق الحيـــــاء

عن عبد الله بن مسعود رضى لله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ :

« استحيوا من الله حق الحياء . قال قلنا يا نبى الله : إنا لنستحى والحمد لله . قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء :

* أن تحفظ الرأس وما وعى
* وتحفظ البطن وما حوى .
* وتذكر الموت والبلى .
* ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى .

* فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

معنى الحـــياء

وقبل أن ندور حول هذا الحديث الشريف : فاننى أرى أولا أن نقف على معنى الحياء :

قال الراغب : (الحياء انقباض النفس عن القبيح ، وهو من خصائص الانسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهى ، فلا يكـــون كالبهيمة ، وهو مركب من جبن وعفة ، فلذلك لا يكـــون المستحى فاسقا ، وقلما يكون الشجاع مستحييا ، وقد يكون لمطلق الانقباض كما فى بعض الصبيان) .

وقال بعضهم : هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره ، اعم من أن يكون شرعيا ، أو عقليا ، أو عرفيا : ومقابل الأول فاسق والثانى مجنون ، والثالث أبله .

وقيل : هو تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يذم به ، أو يعاب عليه .

●● ومن هذا المعنى ندرك تماما أهمية الحياء فى حياتنا اليومية حتى لا يكون هناك انفراط شهوانى ، أو انحطاط خلقى بتلك الصورة المؤسفة والمؤلمة التى نراها كثيرا وكثيرا فى غدونا ورواحنا ، والتى كانت ــ ولا تزال (١) ــ سببا فى كثير من الأزمات والنكبات :

● **(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) (٢) .**

● **(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله باس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (٣) .**

---

(١) على مستوى العالم الاسلامى وغيره .

(٢) هود : الآية ١١٧ .　　(٣) النحل : الآية ١١٢ .

● **(واذا اردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (١) :**

ولهذا : قد كان الحياء من الله تعالى من أهم ما ركز الرسول صلى الله عليه وسلم عليه ، ومن أهم مادعى الاسلام اليه ، ورغب فيـــه :

وذلك حتى يتحقق الايمان بمعناه الكبير . .

وحتى يتضح لنا هـــذا ، فانني أرى ــ وفي البداية ــ أن نقف كذلك ، على تلك الأحاديث الشريفة المتعلقة بالحياء ، وهى :

● عن عمران بن حصين رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(الحياء لا يأتى الا بخير)** رواه البخـــارى ومسلم .

وفي رواية لمسلم :

(الحيـــــاء خير كله) :

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (الايمان بضع (٢) وسبعون ، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها (٣) قول لا اله الا الله ، وأدناها (٤) أماطـــة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

---

(١) الاسراء : الآية ١٦ .

(٢) البضع والبضعة بكسر الباء وحكى فتحها : القطعة من الشيء ، وهى فى العدد من الثلاث الى التسع لأنه قطعة من العدد . ومعنى شعبة خصلة .

(٣) أى أشرفها وأعلاها وعند ابن ماجه (وأرفعها) .

(٤) أى أقلها شرفا ومنزلة .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الحياء من الايمان ، والايمان فى الجنة ، والبذاء (١) من الجفاء ، والجفاء فى النار)** . رواه حمد ، ورجاله رجال الصحيح ، والترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى حديث حسى صحيح .

● وعن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء**) رواه مالك ، ورواه ابن ماجه وغيره عن أنس مرفوعا .

● وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ماكان الفحش فى شىء الا شانه (٢) ، وما كان الحياء فى شىء الا زانه (٣)**) رواه ابن ماجه والترمذى ، وقال حديث حسن غريب .

●● وفى القرآن الكريم ، يحدثنا الله سبحانه وتعالى ، عن :

استحياء ابنة شعيب عليه السلام

فيقول تبارك وتعالى فى سورة القصص :

● **(ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير ● فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير ● فجاءته احداهما تمشى على استحياء ....) :**

---

(١) البذاء : هو الفحش فى الكلام .
(٢) أى قبحه وعابه ، والشين القبح والنقص .
(٣) أى حسنه وجمله .

وخلاصة ما جاء فى تفسير تلك الآيات القرآنية الموضوعية .

أن سيدنا موسى عليه السلام ، لما ورد ماء مدين ـــ أى بلغها ـــ وهى قبيلة من ولد مدين بن ابراهيم : وجد أمة من الناس ـــ أى جمعا كثيرا منهم ـــ يسقون ماشيتهم ، ووجـــد من دونهم امراتين تمنعان غنمهما عن الماء ـــ أى البئر ـــ خوفا من السقاة الأقوياء . فسألهما سيدنا موسى : ما خطبكما ـــ أى ماشأنكما ـــ ؟ فقالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء ـــ جمع راع ، أى يرجعون عن سقيهم خوف الزحام ـــ وأخبرتاه كذلك بأن أباهما شيخ كبير لا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه وانهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا تقـــدران على مزاحمة الأقوياء ، وأن عادتهما التأنى حتى يصدر الناس عن المـــاء ويخلى ، وحينئذ تردان .

فسقى لهما من بئر أخرى كانت مغطاة بحجر ـــ رفعه سيدنا موسى ـــ وكان لا يرفعه الا سبعة ، وقيل عشرة ، وقيل ثلاثون ، وقيل أربعون . . . ثم تولى الى الظل ـــ اى الى ظل سمرة ، وهى شـــجرة صغيرة الورق ، قصـــيرة الشوك لها برمة صغيرة يأكلها الناس ـــ وكان جائعا لم يذق طعاما منذ سبعة أيام ، وقد لصق بطنه بظهره .

قال ابن عباس : وكان قد بلغ به الجوع ، واخضر لونه من اكل البقل فى بطنه ، وانه لأكرم الخلق على الله .

ويروى أنه لم يصل الى مدين حتى سقط باطن قدميه ، وفى هذا معتبر واشعار بهوان الدنيا على الله .

● **(فقال : رب انى لما انزلت الى من خير فقير) :**

أى انى لما أنزلت من فضلك وغناك فقير الى ان تغنينى بك عن ســـواك .

● **(فجاءته احداهما تمشى على استحياء) :**

وكان هذا بعد أن ذهبتا الى أبيهما سريعتين ، وكانت عادتهما الابطاء فى السقى ، فحدثاه بما كان من أمر الرجل القوى الذى سقى لهما .

فأمر — الأب — الكبرى من بناته ، وقيل الصغرى — أن تدعوه له ، (**فجاءته**) كما تشير بتلك الآية : ساترة وجهها بكم درعها — أى قميصها — حياء منه : ثم قالت له : **(ان أبى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) ..**

فلما جاءته بتلك الرسالة قام يتبعها ، وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال ، فهبت ريح ضمت قميصها فوصفت عجيزتها (١) ، فتحرج موسى من النظر اليها ، فقال : ارجعى وارشدينى الى الطريق بصوتك .

وقيل : ان موسى قال ابتداء : كونى ورائى ، فانى رجل عبرانى لا أنظر فى أدبار النساء ، ودليني على الطريق يمينا او يسارا ، فذلك سبب وصفها له بالأمانة ، قاله ابن عباس .

فوصل موسى الى داعيه — وهو سيدنا شعيب عليه السلام — فقص عليه أمره من أوله الى آخره ، فآنسه بقوله : **(لا تخف نجوت من القوم الظالمين)** ، وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون :

ثم قرب اليه طعاما ، فقال موسى : لا آكل ، انا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذاهبا .

فقال شعيب : ليس هذا عوض السقى ، ولكن عادتى وعادة آبائى قرى (٢) الضيف ، واطعام الطعام فحينئذ اكل موسى عليه السلام ..

---

(١) اى مقعدها .

(٢) اى اكرام الضيف .

الى آخر تلك القصة القرآنية العظيمة ، التى انتهت بزواج سيدنا موسى عليه السلام من احدى الفتاتين بعد أن قالت احداهما لأبيها : **(يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين)** ، وبعد أن قال له أبوها أو أبوهما شعيب عليه السلام :

(انى أريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على أن تاجرنى ثمانى حجج) :

والذى يعنينا من تلك القصة الموضوعية هو حياء تلك الفتاة الصالحة التى جاءت موسى عليه السلام تمشى على استحياء ، وهى تضع كم قميصها فوق وجهها ... كما قرأنا قبل ذلك :

فتلك الفتاة الصالحة كما عرفنا ، من بيت من بيوت النبوة التى تعتبر مدرسة للامة الاسلامية ـــ من يوم أن بعث الله النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين ـــ الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا سيما بالنسبة لكل فتاة حرة تريد أن تكون أثرا صالحا ، وقدوة حسنة لكل فتيات أسرتها ، ولكل فتاة تريد حياة الشريفات .

وهذا معناه أن الحياء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم :
(خير كله) :

فحسب كل فاة تريد الخير لنفسها ولأهلها أن تكون كابنة شعيب عليه السلام : بمعنى ان تكون ملتزمة بالأخلاقيات الكريمة التى تتنافى مع تلك الاخلاق البذيئة ، والتصرفات المشينة ، التى حكاها الشاعر فى قصيدته التى يقول فيها :

والنحر والعضـــــدان والفخـــذان كلهم
ولاء باد ، مـــا عليــــه غطـــــاء

وبكفهـــــا المــرآة تصـــلح شـــــأنها
كيف اشـــتهت ومتى وحيث تشـــــاء

وسـط الترام وفى الطـريق تهتك
ان التهتك للفتـاة شـقاء

جزت غـدائرها فصـارت وفـرة
لا حبـذا بالوفـر الحسـناء

تلهـو وترقص فى المسـارح مثلها
ترتج فـوق غصـونها الورقاء

ترتج منهـا كل رجـراج كجـد
ول زئبـق لعبت به نكبـاء

وهنـاك تعتنق الفتى ويحوطهـا
بذراعـه فتلهيهمـا الأهـواء

بالاحتـكاك وبالتلامس والتهـا
مس والشذى تتكهـرب الأعضـاء

واذا غشيت المسـتحم (١) تـرى من
الجنسين أسرابا حـواها الـماء

جنبـا الى جنب تعـوم وقد عـلا
ذاك الفضـاء الضـحك والفسـوضاء

فكأن ميـلَ الجنس جـرد منهمـا
أفلا تفـر من الـذئاب الشـاء

لا وازع يزع الفتـاة كمثل ما
تزع الفتـاة صـيانة وحيـاء
واذا الحيـاء تهتكت أسـتاره
فعلى العفـاف من الفتـاة عفـاء

---

(١) يقصد الحمامات التى فى النوادى والتى يلتقى فيها الفتيان بالفتيـات .

●● وحسب كل شاب كذلك اذا كان من أصل طيب ، ويريد أن يحتفظ لنفسه ولأسرته بالذكر الحسن ، أن يكون متخلقا بخلق الحياء ، وان لا يكون من أنصاف الرجال الذين عاتبهم الشاعر (١) ، بقوله :

شباب النيل يا زين الشباب
ويا أشبال آساد غضاب
معى عتب أوجهه اليكم
وقد تصفوا المودة بالعتاب
أرى فيكم فريقا حين يمشى
يحك بأنفه طرق السحاب
كليث الغاب فى صلف (٢) وتيه
وليس لدى القراع بليث غاب
لزهر النرد (٣) قد خلقه يداه
وليست لليراع (٤) وللكتاب
تفنن فى محاكاة العذارى (٥)
وخالفهن فى وضع النقاب (٦)
وارسل شعره المضغوط يحكى
وميض (٧) البرق أو لمع السراب

---

(١) وهو الشاعر محمود غنيم رحمه الله تعالى .
(٢) صلف وتيه : تكبر .
(٣) زهر النرد : قطع الطاولة .
(٤) اليراع : القلم .
(٥) العذارى : جمع عذراء أى الفتيات الجميلات .
(٦) النقاب : الحجاب (البرقع) .
(٧) وميض : لمعان .

لـــه حـــــلل تحـــاكى الطيف لونا
بأذراد من الـــــذهب اللبـــاب (١)

ولا يخشى عــــلى شىء ويخشى
اذا ثـــار الغبـــار على الثيـــاب

اذا الــذئب استحال بمصر ظبيـــا
فمن يحمى البـــــلاد من الذئاب

برئت من الفتى يبـــــدو فتبــدو
عليـــه نعومة البيض الكعـــاب (٢)

●● وعليهما كذلك أن يلاحظا تلك الآثار الموضــــوعية التى أرجو أن ينتفعا بها ، وهى :

● حياة الوجه بحيائه ، كما أن حياة الغرس بمائه .

● من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه .

● ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك .

● من عمل فى السر عملا يستحى منه فى العلانية فليس لنفسه عنده قدر .

●● وكذلك اليهما تلك الأشعار الموضوعية :

● اذا قل ماء الوجه قـــل حيــــاؤه
ولا خـــير فى وجـــه اذا قـــل ماؤه

حيـــاؤك فاحفظـــه عليك وانمـــا
يدل على فعـــل الكريم حيـــاؤه

---

(١) أى الذهب الخالص .
(٢) أعنى على الفتى والفتاة .

● اذا لم تخش عاقبة الليالى
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير
ويبقى العود ما بقى اللحاء (١)

● ويقول بشار بن برد :

ولقد أصدق الفؤاد عن الشى
ء حياء وحبه فى السواد
أمسك النفس بالعفاف وأمسى
ذاكرا فى غد حديث الأعادى

● وقال أحد الشعراء :

ورب قبيحة ما حال بينى
وبين ركوبها الا الحياء
اذا رزق الفتى وجها قباحا
تقلب فى الأمور كما يشاء

● وقال أيضا أحدهم :

وانى ليثنينى عن الجهل والخنا
وعن شتم ذى القربى خلائق أربع
حياء واسلام وتقوى وأننى
كريم ومثلى من يفسد وينفع

● وقال الرياشى : يقال ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، كان يتمثل بهذا الشعر :

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها
جعلتها للتى أحفيت عنوانا

---

(١) يقصد قشرة العود الخارجية التى تحميه .

وانني لأرى من لاحيـــــاء لـــه
ولا أمــانة وسط القـــــوم عريانا

●● والآن وبعد هذا التمهيد الذى كان لا بد منه ــ حتى تفهم ما سيقال بعد ذلك ــ :

نعود الى موضوعنا الأصلى ، وهو : الحديث عن الحياء الحق أى الحياء الكامل الذى يأمرنا المثل الأعلى فى الحيـــاء صلوات الله وسلامه عليه بأن نكون من أهله فيقـــول : (**استحيوا من الله حق الحياء**) فيقول الاصحاب عيهم جميعا رضوان الله (**يا نبى الله : انا لنستحى ، والحمد لله**) : وكانهم أرادوا بهذا الاستفسار أن يطمئنوا أولا : على أنفسهم اذا كانوا من أهل الحياء أم لا ، وأن يعرفوا ثانيا : من خلال ذلك ما هو الحياء الحق .

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، مطمئنا اياهم ومبينا لهم ــ ولنا ــ حقيقة الحياء الحق :

(**ليس ذلك** ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء :

● أن تحفظ الراس وما وعى ،

● وتحفظ البطن وما حوى ،

● وتذكر الموت والبلى ،

● ومن أراد الآخرة : ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى .

●● فمن فعل ذلك : فقد استحيا من الله حق الحياء) :

وحتى ننتفع بهذا الحديث ونكون ان شاء الله تعالى من أهل ــ هذا ــ الحياء الحق :

فانني أرى أن أبدأ الآن ، فى شرح المعنى المراد ، من :

حفظ الرأس وما وعى

وهو ، كما قرأت : حفظ الرأس وما اشتمل عليه من سمع وبصر ولسان ... وذلك بكفها عن الشر واستعمالها فى الخير .

ولكى ندرك المراد من هذا بوضوح ، فانه يتحتم علينا أولا أن نقف على ما تشير اليه الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (١) :

فحول هذه الآية يقول القرطبى :

أى يسأل كل واحد منهم عما اكتسب ، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده ، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع ، وقيل : المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الانسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده ، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم : **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)** .

فالانسان راع على جوارحه ، فكأنه قال : كل هذه كان الانسان عنه مسئولا ، فهو على حذف مضاف . والمعنى الأول ابلغ فى الحجة ، فانه يقع تكذيبه من جوارحه ، وتلك غاية الخزى ، كما قال : **(اليوم نختم على افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)** (٢) . وقوله : **(شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)** (٣) وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها ادراك ، وجعلها فى هذه الآية مسؤلة ، فهى حالة من يعقل ، فلذلك عبر عنها بأولئك ... الخ .

●● والذى يعنينا من هذا هو أن الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦ .
(٢) سورة يس : الآية ٦٥ .
(٣) سورة فصلت : الآية ٢٠ .

سيسأل الانسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده .. وان الانسان راع على جوارحه ...

وهذا معناه أن الانسان العاقل ، هو الذى يرعى جوارحه .. فلا يستعملها الا فيما يرضى الله تبارك وتعالى .. وذلك كما علمنا حتى لا يتعرض بسببها لتلك المساءلة التى قد تكون سببا فى تحرجه أمام الله تعالى بتلك الصورة التى قد لا يحمد عقباها .

ولهذا كان لا بد وان يحفظ المسلم سمعه .. فلا يستمع — مثلا — الى غيبة أو نميمة .. ولا يسمح لنفسه بأن يكون فى مجلس يستمع فيه الى غناء رخيص أو كلام هزلى لا وزن له فضلا عن كونه من أوزار الشياطين الذين لا هم لهم الا أن يخططوا لابعاد العقلاء عن جدهم وما يقربهم الى ربهم .. الخ ..

وقــــد ورد النهى عن كل هذا فى القرآن الكريم والســـنة المحمدية .

●● ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

● (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (١) .

كما يقول تبارك وتعالى فى مدح المؤمنين المعرضين عن اللغو :

● **(واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه) (٢) .**

● **(والذين هم عن اللغو معرضون) (٣) .**

---

(١) الأنعام : الآية ٦٨ .
(٢) القصص : الآية ٥٥ .
(٣) المؤمنون : الآية ٣ .

●● وفى السنة النبوية ورد :

● عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : **(من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)** رواه الترمذى وقال حديث حسن .

● وعن عثمان بن مالك رضى الله عنه ، قال : قام النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : **(أين مالك بن الدخشم ؟ فقال رجل : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تقل ذلك ، الا تراه قد قال لا اله الا الله يريد بذلك وجه الله وان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله)** . متفق عليه .

● وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا ، قال بعض الرواة تعنى قصيرة ، فقال : **(لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) (١)** قالت : وحكيت له انسانا ، فقال : **(ما أحب أننى حكيت انسانا وأن لى كذا وكذا)** . رواه أبو داود والترمذى وقال هو حديث حسن صحيح .

●● وفى كتاب (احياء علوم الدين) ج ٩ ، اشار حجة الاسلام الغزالى رحمه الله الى أخبث أنواع الغيبة ، فقال :

ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب ، فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة ، فيندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق . فيقول : عجب ، ما علمت أنه كذلك ، ما عرفته الى الآن الا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا ،

---

(١) قال فى رياض الصالحين : ومعنى مزجته : أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها ..

عافانا الله من بلائه .. فان كل ذلك تصديق للمغتاب ، والتصديق بالغيبة غيبة ، بل الساكت شريك المغتاب ، قال صلى الله عليه وسلم : **(المستمع احد المغتابين)** .

وقد روى عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، أن أحدهما قال لصاحبه : ان فلانا لنؤم ، ثم انهما طلبا أدما من رسول الله صلى عليه وسلم ليأكلا به الخبز . فقال صلى الله عليه وسلم : **(قد ائتدمتما)** فقالا ما نعلمه . قال : **(بلى انكما اكلتما من لحم اخيكما)** فانظر كيف جمعهما ، وكان القائل أحدهما ، والآخر مستمعا . وقال للرجلين اللذين قال أحدهما ، اقعص الرجل كما يقعص الكلب : **(انهشا من هـــذه الجيفة)** فجمع بينهما . فالمستمع لا يخــرج من اثم الغيبة ، الا ان ينكر بلسانه ، أو بقلبه ان خاف ، وان قدر على القيام ، أمر قطع الكلام بكلام آخر ، فلم يفعل لزمه . وان قال بلسانه اسكت ، وهو مشته لذلك بقلبه ، فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه . ولا يكفى فى ذلك ان يشــير باليد اى اسكت ، ويشير بحاجبه وجبينه ، فان ذلك استحقار للمذكور ، بل ينبغى ان يعظم ذلك ، فيذب عنه صريحا . وقال صلى الله وسلم : **(من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره اذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق)** وقال أبو الدرداء : قال رســول الله عليه : **(من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة)** (١) وقال أيضا : **(من ذب عن عرض اخيــه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار)** (٢) .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام .. حتى لا تكــون شريكا للمغتاب فى الاثم .. فقد ورد كذلك فى الحديث الشريف :

---

(١) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن . بنحوه .

(٢) رواه أحمد باسناد حسن حوالطبرانى وغيرهما . بنحوه .

(المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم) .

وحسبك أن تلاحظ كذلك قول القائل : الا أعلمك طبا يتعايا فيه الاطباء ، وعلما يتعايا فيه العلماء ، وحكمة يتعايا فيها الحكماء .. ؟ قال : بلى . قال : أما الطب الذى يتعايا فيه الاطباء : فاجلس على المائدة وأنت جائع ، وقم عنها وأنت تشتهيه .

وأما العلم الذى يتعايا فيه العلماء : فاذا سئلت عما لا تعلم فقل الله أعلم .

وأما الحكمة التى يتعايا فيها الحكماء : فاذا جلست فى نادى قوم فاسكت ، فان أفاضوا فى الخير فافض معهم ، وان أفاضوا فى الشر فقم عنهم .

فهذا يا أخى هو منتهى الحكمة . بل هو منتهى الصواب .

وقد قرأت أن الامام الغزالى بعد موته وجدوا تحت رأسه ورقة وقد كتب فيها :

قد كنت عبدا والهوى حاكمى
فصرت حرا والهوى خادمى
وصرت بالعزلة مستأنسا
من شر أصناف بنى آدم
ما لائمن فى تركهم جاهلا
وعذرى منقوش على خاتمى
ففتشوا على خاتمه ، فوجدوه وقد كتب عليه :

● **(وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) (١) .**

---

(١) الاعراف : الآية ١٠٢ .

وقديما قال احدهم :

وحــــدة الانســــــان خـــير
من جليس أســـوء عنــــــده
وجليس الخــــير خــــــير
من جلوس المـــــرء وحـــده

فكن كجليس الخير ولا تكن كجليس الســـــوء الذى يسمعك مساوىء الناس ، أو الذى يسمعك مالا يرضى الله رب العالمين .

●● واذا كنت أقول هذا .. فاننى احذرك كذلك من الاستماع الى الاغانى – بصفة عامة – من حرة أو أمة اجنبية .

كما أشار الى هذا الامام ابن حجر فى كتابه (الزواجــر عن اقتراف الكبائر) ، حيث يقول :

يحرم سماع الغناء من حرة أو أجنبية بناء على قول عندنا ان صوت المرأة عورة سواء أخاف فتنة بها ام لا ، وكلام الشيخين فى الروضة واصلها فى ثلاث مواضع يقتضى أن هذا هو الراجح فى المذهب ، ونقل القاضى أبو الطيب أمام أصحابنا على الاصحاب ولو من وراء حجاب ، وصرح بالتحريم القاضى الحسين أيضا وادعى انه لا خلاف فيه مستدلا بالحديث الصحيح : **(من استمع الى قينة صب فى اذنيه الآنك)** اى الرصاص المذاب .

قال الأذرعى : ولو لم يكن المغنى والمغنية كل الفتنة ، ولــكن أستماع الغناء منه يبعث على الافتتان بغيره من الناس فهو حـــرام لما فيه من الخبث وتحريك القلب الخرب الى ما يهواه لا سيما أهل العشق والشغف ومن يشتغل بصورة خاصة وهذا واضح لاينازع فيه منصف ا . هـ . ثم يقول : وأما على ان صوتها غير عورة وهو الاصح فلا يحرم الا ان يخشى فتنة ، قال الاذرعي : وكله فى غير الغناء الملحن بالنغمات الموزعة مع التخت والتغنج كما هو شأن المغنيات ،

وما هذا ففيه أمور على مطلق سماع الصوت فيتجه التحـريم هنا ، وان قلنا ان صوتها غير عورة ويجب أن يكون كل الخلاف فى صوت غير مشتمل على ذلك بخلاف المشتمل عليه لانه يحث على الفسوق كما هو مشاهد ويظهر أن سماعه من الأمرد محرم أيضا ان خشى فتنة به كسماعه من المـــــراة ، ثم رأيت الرافعى صرح بذلك والأذرعى نقل عن القرطبى أن جمهور من أباح سماع الغناء حكموا بتحريمه من الاجنبية على الرجالَ والنساء ، وأنه لا فرق بين اسماع الشعر والقرآن لما فيه من تهييج الشهوة وخوف الفتنة لا سيما اذا لحنته ، فسماعه كالاطلاع على محاسن جسدها بل الحاصل بغنائها من المفسدة أسرع من ذلك لان الســـماع يؤثر فى النفس قبل رؤية الشخص ، واما تهيجه للشهوة وايقاعه فى الفتنة فلا شك فيـــــه والحاصل أن سماعهن مظنة الشهوة قطعا واطال فى تقريره وهو كما قال ا هـ كلام الأذرعى .

●● وفى كتاب (احيـــــاء علوم الدين) ، وفى باب : آداب السماع والوجد ، قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى ، بعد كلام طويل :

فان قلت : فهل له حالة يحرم فيها .. ؟

فأقول : انه يحرم بخمسة عوارض : عارض فى المســـــتمع وعارض فى آلة الاستماع ، وعارض فى نظم الصوت ، وعارض فى نفس المستمع أو فى مواظبته ، وعارض فى كون الشخص من عـــوام الخلق ، لان اركان السماع هى المسمع ، والمستمع ، وآلة الاسماع

العارض الأول : ان يكون المسمع امراة لا يحلَ النظر اليها ، وتخشى الفتنة من سماعها ، وفى معناها الصبى الامرد الذى تخشى فتنته ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة ، وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المراة بحيث يفتن بصوتها فى المحاورة من غـــير الحان

فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ، ولا سماع صوتها فى القرآن أيضا وكذلك الصبى الذى تخاف فتنته .

فان قلت : فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب ، أولا يحرم الا حيث تخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت .

فأقول : هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان .

أحدهما : أن الخلوة بالأجنبية والنظر الى وجهها حرام ، سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجميلة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور .

والثانى : ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة ، فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الجسم ، بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين ، فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب ، وهوقياس قريب ، ولكن بينهما فرق ، اذ الشهوة تدعو الى النظر فى أول هيجانها ، ولا تدعو الى سماع الصوت ، وليس تحريك النظر لشهوة الممارسة ، كتحريك السماع بل هو اشد ، وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة ، فلم تزل النساء فى زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة ، وغير ذلك ، ولكن للغناء مزيد اثر فى تحريك الشهوة ، فقياس هذا على النظر الى الصبيان أولى ، لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب ، كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات ، فينبغى أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه ، هذا هو الأقيس عندى ، ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة رضى الله عنها اذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ، ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه ، فلذلك لم يحترز ، اذن يختلف هذا بأحوال المرأة ، وأحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ، ولا يبعد أن يختلف الأمر فى مثل هذا بالاحوال ، فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته

وهو صائم ، وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعـــو الى الوقاع فى الصوم ، وهو محظور ، والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالاشخاص .

العارض الثانى : فى الآلة بأن تكون من شعار اهل الشرب ، أو المخنثين ، وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة ، فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الاباحة كالدف ، وان كان فيه الجلاجل ، وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

العارض الثالث : فى نظم الصوت وهو الشعر ، فان كان فيه شىء من الخنا والفحش والهجو أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضى الله عنهم ، كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم ، فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك للقائل ، وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها ، فانه لا يجوز وصف المرأة بين يدى الرجال ، وأما هجـــاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك ، فأما النسيب : وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء ، فهذا فيه نظر ، والصحيح أنه لا يحرم نظمه وانشاده بلحن وغير لحن وعلى المستمع أن لا ينز له على امرأة معينة ، فان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته ، فان نزله على أجنبية فهو العاصى بالتنزيل، واجالة الفكر فيه ، ومن هذا وصفه فينبغى أن يجتنب السماع رأسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له أو لم يكن اذا ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة ، فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بســـوار الصدغ مثلا ظلمة الكفر ، وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله تعالى ، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى ، فى زمـــرة

المردودين ، وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الأنس بالله تعالى ، ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة ، بل تسبق المعانى الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ ، كما روى عن بعض الشيوخ أنه مر فى السوق فسمع واحدا يقول : الخيار عشرة بحبة ، فغلبه الوجد . فسئل عن ذلك ؟ فقال : اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار . واجتاز بعضهم فى السوق فسمع قائلا يقول : يا سعتر برى ، فغلبه الوجه

فقيل له : على ماذا كان وجدك ت

فقال : سمعته كأنه يقول : ياسعتر برى ، حتى أن العجمى قد يغلب عليهالوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب ، فان بعض حروفها يوازن الحروف المعجمية فيفهم منها معان أخر . أنشد بعضهم :

وما زارنى فى الليل الا خياله

فتواجد عليه رجل أعجمى ، فسئل عن سبب وجده ، فقال : انه يقول مازاريم ، وهو كما يقول ، فان لفظ زار يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك، فتوهم أنه يقول : كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة ، والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله ، وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ، ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه ، فاذا ليس فى تغيير اعيان الألفاظ كبير فائدة ، بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى أن يحترز من السماع بأى لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الالفاظ ، ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة .

العارض الرابع فى المستمع : وهو أن تكون الشهوة غالبةعليه

وكان فى غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب ، فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ ، والخد ، والفراق والوصال الا ويحرك ذلك شهوته ، وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه ، فتشتعل فيه نار الشهوة ، الشر ، وذلك هو النعرة لحزب الشيطان ، والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب شدائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل ، الا فى قلب قد فتحه أحد الجندين ، واستولى عليه بالكلية ، وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان ، وغلب عليها ، فتحتاج حينئذ الى أن تستأنف أسباب القتال لازعاجها ، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها ، والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص ، فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستغربه .

العارض الخامس : أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ، ولا غلبت عليه شهوة فيكون فى حقه محظورا ، ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة ، الا أنه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته ، فان المواظبة على اللهو جناية ، وكما أن الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة ، فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة ، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام ، فانه ممنوع وان لم يكن أصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج ، فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الغرض هو اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب ، اذ راحة القلب معالجة له فى بعض الأوقات ، لتنبعث دواعيه فتشتغل فى سائر الاوقات بالجد فى الدنيا

كالكسب والتجارة ، أو فى الدين كالصلاة والقراءة . واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته ، فما أقبح ذلك ، فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة ، فما كل حسن يحسن كثيره ، ولا كل مباح يباح كثيرة ، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام ، فهذا المباح كسائر المباحات .

فان قلت : فقد أدى مساق هذا الكلام الى أنه مباح فى بعض الأحوال دون بعض ، فكم اطلقت القول أولا بالاباحة ، اذ اطلاق القول فى المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ .

فاعلم أن هذا غلط ، لأن الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر ، فأما ما ينشأ من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق ، ألا ترى أنا اذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم حرام ، قلنا : انه حلال على الاطلاق مع أنه حرام على المحرور الذى يستغربه ، واذا سئلنا عن الخمر ، قلنا : انها حرام مع أنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ، ولكن هى من حيث انها خمر ، حرام ، وانما أبيحت لعارض الحاجة ، والعسل من حيث انه عسل حلال ، وانما حرام لعارض الضرر ، وما يكون لعارض فلا يلتفت اليه ، فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ، ونحوه من العوارض ، والسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت طيب موزون مفهوم ، وانما تجريمه العارض خارج عن حقيقة ذاته ، فاذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل .

وأما الشافعى رضى الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلا ، وقد نص الشافعى وقال فى الرجل يتخذه صناعة : لا تجوز شهادته ، وذلك لأنه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل ، ومن اتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروءة ، وان لم

يكن محرما بين التحريم ، فان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ، ولا يؤتى لذلك ، ولا يأتى لأجله ، وانما يعرف بأنه قد يطرب فى الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ، ولم يبطل شهادته ، واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضى الله عنها.
وقال يونس بن عبد الأعلى : سأل الشافعى رحمه الله عن اباحة أهل المدينة للسماع ، فقال الشافعى : لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه فى الأوصاف ، فأما الحداء ، وذكر الاطلال والمرابع ، وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل ، فقوله لهو ، صحيح ، ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام ، فلعب الحبشة ورقصهم لهو ، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا يكرهه ، بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به أن عنى به أنه فعل مالا فائدة فيه ، فان الانسان لو وظف على نفسه أن يضع يديه على رأسه فى اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم ، قال الله تعالى : **(لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ٠٠)** (١) فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشىء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به ، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص ؟ وأما قوله يشبه الباطل ، فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو با طل صريحا لما دل على التحريم ، وانما يدل على خلوه عن الفائدة، فالباطل مالا فائدة فيه ، قول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسى منك ، وقولها اشتريت ، عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة ، وليس بحرام الا اذا قصد به التمليك المحقق الذى منع الشرع منه ، وأما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التى ذكرتها لك ، أو ينزل على التنزيه ، فانه نص على اباحة لعب الشطرنج ، وذكر أنى اكره كل لعب ، وتعليله يدل عليه ، فانه

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٥ .

قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة ، فهـــذا يدل على التنزيه ، ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا ، بل قد ترد الشهادة بالأكل فى السوق ، وما يخـــرم المروءة ، بل الحياكة مباحة ، وليست من صنائع ذوى المروءة ، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة ، فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه ، وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة ، وان أرادوا التحريم فما ذكرنا به حجة عليهم .

ثم يقول الامام الغزالى رحمه الله بعد ذلك ، تحت عنوان :

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقـــوله تعالى : **(ومن الناس من يشترى لهـــو الحديث)** (١) قال ابن مسعود ، والحسن البصرى ، والنخعى ، رضى الله عنهم : ان لهو الحديث هو الغناء ، وروت عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : **(ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها)**(٢) ، فنقول : أما القينة : فالمراد بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب . وقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف الفتنة عليهم حرام ، وهم لا يقصدون بالفتنة الا ما هو محظور ، فأما غناية الجارية لمالكها فلا يفهـــم تحريمه من هذا الحديث ، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة ، بدليل ما روى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها .

---

(١) سورة لقمان : الاية ٦ .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط باسنـــاد ضعيف قـــال البيهقى ليس بمحفوظ .

وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ، ومضلا عن سبيل الله تعالى ، وهو المراد فى الآية ، ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المنافقين انه كان يؤم الناس ولا يقرأ الا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمر بقتله ، ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال ، فالاضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

واحتجوا بقوله تعالى : **(أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون)** (١) ، قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الغناء بلغة حمير ، يعنى السمد ، فنقول : ينبغى أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشتمل عليه .

فان قيل : ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم فى معرض الاستهزاء بالمسلمين ، كما قال تعالى : **(والشعراء يتبعهم الغاوون)**(٢) ، وأراد به شعراء الكفار ، ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر فى نفسه .

واحتجوا بما روى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : **(كان ابليس أول من ناح واول من تغنى)**(٣) فقد

---

(١) سورة النجم : الآية ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .
(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٤ .
(٣) قال العراقى فى حاشية الاحياء : لم أجد له أصلا ، وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده .

جمع بين النياحة والغناء ، قلنا : لا جرم كما استثنى منـــه نياحـــة داود عليه السلام ، ونياحة المذنبين على خطاياهم ، فكذلك يستثنى الغناء الذى يراد به تريك السرور والحزن والشوق ، حيث يبـــاح تحريكه ، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن:

طـــلع البـــدر علينـــــا
مـــن ثنيـــــات الـــــوداع

واحتجوا بما روى أبو أسامة عنه صلى الله عليه وسلم ، انه قال : **(ما رفع احد صـــوته بغناء الا بعث الله له شـــيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك) (١) .**

تلنا : هو منزل على بعض أنواع الغناء الذى قدمناه ، وهو الذى يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ، وعشق المخلوقين ، فأما ما يحرك الشوق الى الله والسرور بالعيد أو حدوث الولد ، أو قدوم الغائب ، فهذا كله يضاد مراد الشيطان ، بدليـــل قصة الجاريتين والحبشة ، والأخبار التى نقلناها من الصـــحاح فالتجويز فى موضع واحد نص فى الاتاحة والمنع فى الف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل ، أما الفعل فلا تأويل له ، اذ ما حرزم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط ، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود .. الخ .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن على علم به وبأبعاده واحكامه حتى لا تقع فى هذا المحظور الذى قد يحرك ــ غالبا ــ كوامن الشهـــــوة فى داخلك والذى قد يكون كذلك ــ غالبـــا ــ سببا فى انشغالك عن الله تعالى وذكره وشكره وحسن عبادته .. بل قد

---

(١) رواه ابن ابى الدنيا فى ذم الملاهى والطبرانى فى الكبير وهو ضعيف .

يكون سببا فى تركك لفرائض الله تعالى التى أهمها الصلاة .. وهذا هو الخسران المبين .

ولهذا فاننى انصحك ونفسى بأن تنزه سمعك عن الاستماع الى هذا النوع من الغناء المحرم الذى وقفت عليه .. حياء من الله تبارك وتعالى .. وحياء من الحفظة الكرام الكاتبين ، وصالحى المؤمنين .

وقد قال على كرم الله وجهه لولده الحسن عليه رضوان الله فى وصية له :

● (استحى من ثلاث : استحى من الله تعالى وانت مقيم على ما يكره ، واستحى من الحفظة الكرام الكاتبين ، واستحى من صالحى المؤمنين) .

وقد ورد كذلك فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

● (ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع : فاستحيوهم واكرموهم) (١) .

واذا أردت اخا الاسلام أن تطرب سمعك وتزود قلبك ... بما ينفعك ويسعدك فى دنياك واخراك :

فحسبك أن تكون من المؤمنين المخاطبين بقول الله تعالى :

● **(واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)(٢) .**

---

(١) أخرجه الترمذى فى أبواب الاستئذان عن أبى عمر .
(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٠٤ .

وحسبك ان تتعلم الأدب فى هذا من الجن الصالح ، عنــدما استمع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة الجن فى صلاته ... والى هذا يشير الله تعالى فى قوله الذى يخاطب فيه رسوله صلوات الله وسلامه عليه .. مخبرا اياه بخبر الجن الذين استمعـــــوا اليــه .

● (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلمــا حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى (١) مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ● يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ● ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبــــين)(٢) .

فالجن الصالح (٣) ــ كما تشير الآيات ــ عندما استمعوا الى القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصتوا انصاتا كاملا لكى يفهموا المراد من تلك الآيات القرآنية التى كان يتلوها الرسول صلى الله عليه وسلم من سورة الجن .. ولهذا قالوا ــ بعد أن فهموا المراد منها ــ كما يشير الى هذا قول الله تعالى فى أول سورة الجن :

● (.. انا سمعنا قرآنا عجبا ● يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا ● وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبــة

---

(١) قالوا هذا : لأنهم كانوا من أتباع سيدنا موسى ، وقيل : لأن الانجيل كان مكملا للتوراة .

(٢) سورة الاحقاف الآية ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) قال السهيلى : ويقال كانوا سبعة ، وكانوا يهودا فأسلموا .. (قرطبى) .

ولا ولدا) (١) الى آخر الآيات التى تشير الى هذا الايمان الخالص فى سورة الجن ، والتى منها قوله تعالى :

● **(وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) (٢) .**

والذى أريد أن أشير اليه بعد ذلك هو ما فعله الجن الصالح بعد أن استمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لقد فعلوا ما أشار الله تعالى اليه فى قوله :

● **(فلما قضى(٣) ولوا الى قومهم منذرين) .**

أى : منذرين لهم مخالفة القرآن ومحذرين اياهم بأس الله ان لم يؤمنوا .

●● وهذا هو المطلوب منا نحن كذلك ــ بل نحن أولى به ــ لأننا أفضل من الجن .. واذا كان الله تعالى يقول فى قرآنه :

● **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٤) .**

واذا كان يقول فى آية أخرى :

● **(يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) (١) .**

فان التقديم فى الآيتين ليس تقديم أفضلية وانما هو تقديم أسبقية ، بدليل قول الملائكة لرب العزة سبحانه وتعالى عندما قال لهم :

---

(١) سورة الجن : الآية ١ ، ٢ ، ٣ .
(٢) سورة الجن الآية ١٣ .
(٣) أى لما فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من القراءة .
(٤) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .
(٥) سورة الرحمن : الآية ٣٣ .

● **(.. انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ...)(٢) .**

لأنهم رأوا هذا الا فساد من الجن الذين كانوا قد خلقوا قبل أبينا آدم عليه السلام بآلاف السنين أو ملايينها .. والله أعلم .

ولهذا ، فقد قلت : نحن أولى بالتذكير والتحـــذير من الجن الصالح الذين **(ولوا الى قومهم منذرين) .**

ولا سيما بتبليغ المراد من القرآن الكريم ، بعد أن نتعلمه ونقف على أوامره ونواهيه :

● فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

وقد قرأت فى شرح هذا الحديث ، فى هامش الترغيب والترهيب للمنذرى ، للشيخ خليل الهراس رحمه الله تعالى ، ما يلى :

لا شك أن القرآن العظيم هو كلام الله الذى خرج منه ، ثم أنزله وحيا بواسطة الروح الأمين ــ سيدنا جبريل عليه السلام ــ على قلب عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : لينذر به من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وليخرج به الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد : فلن يتقرب متقرب الى الله بشىء أحب اليه من تلاوة القرآن وتدبره ومدارسته ثم تعليم ذلك لغيره .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

ففى الحديث : الحث على تعلم القرآن وتعليمه ، وقد سئل الثورى عن الجهاد واقراء القرآن ، فرجح الثانى واحتج بهـــذا الحديث ـــ قاله فى الفتح .

قال الشرقاوى : لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المعتدى .

لا يقال : ان من لازم هذا أفضلية المقرئ على الفقيه ، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء الناس ، اذ كانوا يدرون معانى القرآن بالسليقة أكثر من دراية من بعدهم بالاكتساب ، (وخيركم) فى الحديث : أفعل تفضيل بمعنى أخيركم أى أكثركم نفعا ورفعكم منزلة وتعلم القرآن يدخل فيه حفظه وتجويده واقامة حروفه واعرابها ، ويدخل فيه كذلك مدارسته وتفهم معـــانيه وتدبر آياته ومعرفـــة المقاصد الاساسية التى نزل من أجلها ، ومعرفة أحكامه وحـــلاله وحرامه .. الخ .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

(ما اجتمع قوم فى بيت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ،وذكرهم الله فيمن عنده) .

رواه مسلم وابو داود وغيرهما .

قال النووى : وفى هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوةالقرآن فى المسجد ، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور ، وقال مالك : يكره ، وتأويله بعض أصحابه .

ويلحق بالمسجد فى تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع فى مدرسة ورباط ونحوهما ان شاء الله تعالى ، ويدل عليه الحـــديث المطلق

الذى يتناول جميع المواضع : **(لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة ..)** الحديث .

● والمطلوب منا كذلك : أن نتعلم أدب التبليغ من الجن الصالح — ونحن أولى بذلك منهم — فقد قالوا لقومهم كما قرأنا قبل ذلك :

(يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به ...) الخ : بأسلوب لين ومهذب .. كان سببا فى اسلام عدد كبير من قومهم :

قال القرطبى : قال ابن عباس : فاستجاب لهم مى قومهم سبعون رجلا ، فرجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فوافقوه بالبطحاء ، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم .

وقد أشار الرقطبى بعد ذلك ، وبعد قوله تعالى : **(يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم)** ، الى معلومة هامة ، وهى أن : هذه الآية تدل على أن الجن كالانس فى الامر والنهى والثواب والعقاب .

وقال الحسن : ليس لمؤمنى الجن ثواب غير نجاتهم من النار يدل عليه قوله تعالى :

(يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم) .

وبه قال ابو حنيفة ، قال : ليس ثواب الجن الا أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم : كونوا ترابا مثل البهائم . وقال آخرون : انهم كما يعاقبون فى الاساءة يجازون فى الاحسان مثل الانس .

واليه ذهب مالك والشافعى وابن ابى ليلى . وقد قال الضحاك : الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون قال القشيرى :

فى الصحيح أهذا مما لم يقطع فيه بشىء ، والعلم عند الله .

ثم يقول القرطبى بعد ذلك : قوله تعالى :

(ـ ولكل درجات مما عملوا ..) (١) :

يدل على أنهم يثابون ويدخلون الجنة ، لانه قال فى أول الآية: **(يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى)** الى أن قال ـ **(ولكل درجات مما عملوا)** . والله أعلم .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ولاحظه ، وكن كما أوصيتك حكيما فى وعظك وارشادك ، كما أوصاك الله تعالى بهذا ـ أساسا ـ فى شخص نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. فى قوله تعالى :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة(٢) والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)(٣) .

قال القرطبى : فيه مسألة واحدة :

هذه الآية نزلت بمكة فى وقت الأمر بمهادنة قريش ، وأمره أن يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف ، وهكذا ينبغى أن يوعظ المسلمون الى يوم القيامة .

فهى محكمة فى جهة العصاة من الموحدين ، ومنسوخة بالقتال فى حق الكافرين وقد قيل : ان من أمكنت هذه الأحوال من الكفار ورجى ايمانه بها دون قتال فهى فيه محكمة . والله أعلم .

---

(١) الانعام : الآية ١٣٢ .

(٢) من حكم الفرس منها بالحكمة بفتح الكاف ما أحاط بحنكى الفرس من اللجام ، وفيها العذاران لانه يمنعه من الاضطراب .

(٣) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

فلاحظ هذا أخا الاسلام ــ على هذا الأساس الــذى وقفه عليه ــ حتى تكون من أهل الحكمة التى ان كنت من أهلها كنت من أهل الخير الكثير كما يشير الى هذا قول الله تعالى :

● **(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الألباب) (١) .**

فقد قال القرطبى : قوله تعالى :

(يؤتى الحكمة من يشاء) أى يعطيها لمن يشاء من عباده . ثم يقول : واختلف العلماء فى الحكمة هنا ، فقال السدى : هى النبوة ، وقال ابن عباس : هى المعرفة بالقرآن فقهه ونسخهومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره .

وقال قتادة ومجاهد : الحكمة هى الفقــه فى القرآن . وقال مجاهد : الاصابة فى القول والفعل . وقال ابن زيد : الحكمة العقل فى الدين . وقالل مالك بن أنس : الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له .

وروى عنه ابن القاسم انه قال : الحكمة التفكر فى أمر الله والاتباع له . وقال أيضا : الحكمة طاعة الله والفقه فى الدينوالعمل به .

وقال الربيع بن أنس : الحكمة الخشـــية . وقال ابراهيم النخعى : الحكمة الفهم فى القرآن ، وقاله زيد بن أسلم . وقال الحسن : الحكمة الورع .

ثم يقول القرطبى بعد ذلك : قلت : وهذه الاقوال كلها ماعدا قول السدى والربيع والحسن قريب بعضها من بعض ، لأن الحكمة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .

مصدر من الاحكام وهو الاتقان فى قول أو فعل ، فكل ما ذكر فهــو نوع من الحكمة التى هى الجنس ، فكتــاب الله حكمة ، وسنة نبيه حكمة ، وكل ما ذكر من التفضيل فهو كحمة . واصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، فقيل للعلم حكمة ، لانه يمتنع به ، وبه يعم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم .

وفى البخارى : **(من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)** وقال هنا : **(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)** وكرر ذكر الحكمة

ولم يضمرها اعتناء بها ، وتنبيها على شرفها وفضلها ... وذكر الدارمى أبو محمد فى مسنده :

حدثنا مروان بن محمد حدثنا رفدة الغسانى قال أخبرنا ثابتبن عجلان الأنصارى قال : كان يقال : ان الله ليريد العذاب بأهــــل الأرض فاذا سمع تعليم المعلم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم .

قال مروان : يعنى بالحكمة القرآن .

ثم يقول القرطبى : قوله تعالى :

(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الألباب) :

يقال : ان من اعطى الحكمة القرآن فقد أعطى افضل ما أعطى من جمع علم كتب الأولين من الصحف وغيرها .

(.. وما اوتيتم من العلم الا قليلا) (١) .

وسمى هذا خيرا كثيرا ، لأن هذا هو جوامع الكلم . وقال بعض الحكماء : من أعطى العلم والقرآن ينبغى ، أن يعرف نفسه ، ولا يتواضع لأهل الدنيا لاجل دنياهم ، فانما أعطى أفضل ما أعطى

---

(١) الاسراء : الآية ٨٥ .

أصحاب الدنيا ، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعا قليـــلا ، فقال : **(.. قـــل متاع الدنيا قليـــل)** (١) . وسمى العـــــلم والقـــرآن **(خيرا كثيرا)** . وقرأ الجمهور **(ومن يؤت)** على بناء الفعل للمفعول وقرأ الزهرى ويعقوب **(ومن يؤت)** بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة ، فالفاعل اسم الله عز وجـــل . و **(من)** مفعول أول مقدم ، والحكمة مفعول ثان . والألباب : العقول وأعدها لب . .

●● أقول : ولهذا ، فقد قال الله تعالى عن لقمان الحكيم عليه السلام :

● **(ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر الله ..)** (٢) .

فقد روى — كما جاء فى القرطبى — من حديث ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول **(لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير الأفكر حسن اليقين ، احب الله تعالى فاحبه فمن عليه بالحكمة ، وخيره فى ان يجعله خليفة يحكم بالحق ، فقال رب ، ان خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء ، وان عـــزمت على فسمعا وطاعة فانك ستعصمنى)** ، ذكره ابن عطية . وزاد الثعلبى: فقالت له الملائكة .. بصوت لابراهيم : لم يالقمان ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها ، يغشاه المظلوم من كل مكان ، ان يعن فبالحرى (٣) أن ينجو ، وان أخطأ طريق الجنة .

ومن يكن فى الدنيا ذليلا « فذلك » خير من أن يكون فيهـــــا شريفا (٤) . ومن يختر الدنيا على الآخـــرة تفته الدنيـــا ولا يصيب

---

(١) النساء : الآية ٧٧ .

(٢) لقمان : الآية ١٢ .

(٣) فبالحرى أن يكون كذا ، اى جدير وخليق .

(٤) يريد أن يقول من الخير للانسان أن يعيش متواضعا بين اخوانه بدل ان يكون متكبرا عليهم بسبب مكانته فى الدنيا . .

الآخرة . فعجبت الملائكة من حسن منطقه ، فنـــام نومة فأعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها .

وقيل : كان راعيا ، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له : الست عبد بنى فلان ؟ قال : بلى . قال : فما بلغ بك ما ارى ؟ قال : قدر الله ، وأدائى الأمانة ، وصدق الحديث ، وترك مالا يعنينى ، فسأله عبد الرحمن بن زيد بن جابر .

●● وكن كذلك أخا الاسلام حريصا على سماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة .. ثم تبليغها لطلاب العلم النافع بكل أمانة وصدق :

● فعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

(نضر الله امرا سمع منا شيئا فبلغه كما ســمعه) (١)

(نضر الله امرا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه (١) فرب مبلغ اوعى من سامع (٢)) رواه أبو داود والترمـــــذى وابن حبان فى صحيحه الا أنه قال : رحم الله امرأ . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

● روى عن ابن عباس، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم: **(اللهم ارحم خلفائى . قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى ويعلمونها الناس)** .

رواه الطبرانى فى الأوسط .

●● واحذر اخا الاسلام أن تكذب على رسول الله صلى الله

---

(١) اى على الوجه الذى سمعه شىء غير زيادة ولانقص يخل بأصل المعنى ، فمن زاد أو نقص فهو مغير لا مبلغ .

عليه وسلم عندما تبلغ أحاديثه التى لا بد وان تتثبت منها ومن صحتها قبل ان تبلغها .

● فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(من كذب على متعمـــــدا فليتبوأ (١) مقعـــده من النار) أخرجه الشيخان وغيرهما ، وللحديث طرق بلغت التواتر (٢) .

● وعن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من حدث عنى بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين)** .

رواه مسلم وغيره .

● وعن المغيرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على فليتبوأ مقعده من النار)** رواه امام وغيرم .

●● وكن أخا الاسلام حريصا كل الحرص على مجالسةالعلماء العاملين للانتفاع بهم ، والاستماع الى علمهم الذى به تحيا القلوب كما يشير الى هذا لقمان الحكيم فى وصيته لولده التى يقول فيها :

● **(يا بنى لاتجالس الفجار ولا تماشهم اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم ، وجالس العلماء والفضلاء : فان الله تعالى يحيى القلوب الميتة بالفضيلة والعلم كما يحيى الارض بوابل المطر)** .

---

(١) يقال تبوأ منزلا نزله ، وهو أمر فى اللفظ وخبر فى المعنى.

(٢) الحديث المتواتر هو ما رواه جماعة يستحيل فى العادة تواطئوهم على الكذب عن مثلهم حتى يبلغوا به النبى صلى الله عليه وسلم .

وحسبك ترغيبا لك فى هذا الخير الذى ما بعده خير أن تذكر نفسك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه :

● **(.. ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم : الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ..) (١) .**

● وما أجمل قول الشاعر الحكيم :

العلم انفس شىء أنت داخره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

اقبل على العلم واستقبل مقاصده
فأول العلم اقبال وآخره

واذا كان على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد قال :

(من سلك طريقا بغا دليل ضل ، ومن تمسك من غير أصل زل) :

فقد قال أبو حيان مشيرا الى هذا المعنى الكبير الذى أرجو أن تذكره دائما وأبدا حتى تحرص على مجالسة العلماء العاملين الذين هم دليلك الصادق الى الله تبارك وتعالى :

يظن الغمر (٢) ان الكتب تهدى
اخا فهم لادراك العلوم
وما يدرى الجهول بأن فيها
غوامض حيرت عقل الفهيم

---

(١) من حديث صحيح رواه مسلم .

(٢) قال من مختار الصحاح : رجل غمر بسكون الميم وضمها أى لم يجرب الأمور وبابه ظرف والأنثى (غمرة) بوزن عمرة .

اذا رمت العـــــلوم بغـــير شيخ
ضللت عن الصراط المســـــتقيم
وتلتبس العـــــلوم عليـك حتى
تصـــــير أضــل من توما الحكيم

●● وأما عن :

حفـظ البصـر

فالمراد به هو حمايته وصيانته بسياج من الايمان : من كل ما يكون سببا فى الوقوع فى مخالفة شهوانية غالبا ما تؤدى الى مالا يحمد عقباه :

والى هذا يشير الشاعر الحكيم فى قوله :

كل الحـــوادث مبداها من النظـــر
ومعظم النار من مستـصغر الشرر

ولهذا .. فان الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى قرآنه بأن نغض من أبصارنا عن كل ما يغضب الله تبارك وتعالى فيقول لنبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حتى يبلغنا :

(● قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ● وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن أو اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن أو ما ملكت ايمانهن او التابعين غير أولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النســاء

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون) (١) .

ففى هاتين الآيتين الكريمتين نلاحظ شيئا هاما ، لا بد وأن نقف على أبعاده . . وهو ما أشار اليه الامام (أبو الأعلى المودودى) أكرمه الله تعالى فى كتابه (الحجاب) ، حيث يقول :

فان الرجال انما أمروا ، فيهما — بأن يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا من الفواحش أخلاقهم . ولكن النساء قد أمرن — كالرجال — بهذين الأمرين ، وأوصين بعد ذلك بأمور مزيدة فى باب المعاشرة والسلوك العملى ، مما يدل صريحا على أنه لا يكفى لصيانة أخلاقهن العناية بغض البصر وحفظ الفروج ، بل لا بد لذلك من ضوابط أخرى غير ذلك . ولنرجع فى هذا المقام الى آثار النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، لننظر كيف نفذوا هذه الأحكام المجملة فى المجتمع الاسلامى ، وماذا يستنبط من أقوالهم وأفعالهم من التفاصيل المعنوية والعملية لهذه الأحكام .

ثم يقول بعد ذلك تحت عنوان :

غض البصـــر

ان أول ما أمر به الرجال والنساء فى هذا الباب هو الغض من أبصارهم . وتترجم كلمة غض البصر الى لغتنا الأردية عامة بمعانى خفض البصر وعدم رفعه من الأرض . ولكن ليس هذا مقصود الأمر الربانى بهذه الكلمة . بل المقصود اجتناب ما قد عبر عنه فى الحديث بزنى النظر ، فالتلذذ برؤية جمال الأجنبيات وزينتهن هو مبعث الفتنة للرجال ، كما ان الطموح بالبصر الى الاجانب من الرجال هو مصدر

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ ، ٣١ .

الفتنة للنساء . من هنا يصدر الفساد طبعا وعادة ، ولذلك سد بابه أول ما سد من الأبواب ، وهذا هو المراد بغض النظر .

على انه ظاهر أنه ما دام الانسان فاتحا عينيه فى هذه الدنيا فلا بد أن يقع بصره على كل ما حوله من الأشياء والأشخاص . وليس فى الامكان ان لا يرى الرجل امراة ابدا ، ولا ترى المراة رجلا بحال . فقول الشارع عليه السلام فى مثل هذا النظر : انه ان وقع فجأة ، فلا اثم فيه ، وانما المحظور أن يعيد المرء نظره الى حيث يستأنس الزينة والجمال ويجعله مرمى عينيه ، عن جرير قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة ، فقال : **(اصرف بصرك) (١) .**

وعن بريدة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : **(ياعلى ! لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى وليس لك الاخرة) (٢)** وعن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : **(من نظر الى محاسن امراة اجنبية عن شهوة صب فى عينيه الآنك (٣) يوم القيامة) (٤) .**

على أنه قد يكون هناك من الأحايين ما يستدعى النظر الى امرأة اجنبية كأن ينظر الطبيب الى مريضة ، او ينظر القاضى الى امرأة تحضر بين يديه شاهدة أو فريقا فى قضية ، أو تحصر امرأة فى حريق أو تقع فى لجة فتشرف على الغرق أو يكون عرضها أو نفسها عرضة للخطر . ففى كل هذه الحالات يجوز النظر الى عورة المرأة فضلا عن وجهها ، ويجوز كذلك لمسها . بل ان احتضانها ايضا — اذا كانت متعرضة للحرق أو الغرق — ليس من الجائز فحسب ، بل هو

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) الآنك : الرصاص المذاب .
(٤) تكملة فتح القدير ج٨ ص ٩٧ .

واجب بالضروره ، ويأمر الشارع فى هذه الأحوال أن يخلص المرء بيته من الفساد ما استطاع ، ولكنه ان اختلجت فى نفسه خالجة من الشهوة ، لمقتضى الطبع البشرى فيه ، فلا جناح عليه فيه ، لأن مثل هذا النظر وهذا اللمس انما دعته الضرورة ، وليس فى مكنة الانسان منع مقتضيات الفطرة بتة (١) .

وكذلك النظر الى الأجنبية ، بل اسفاف النظر اليها بقصد التزوج بها ، ليس بجائز فحسب ، بل هو مما ندب اليه فى السنة ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه امرأة بهذا القصد . وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **(انظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما)** (٢) ، وعن سهل بن سعد ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالت يا رسول الله جئت لأهب لك نفسى ، فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد النظر اليها (٣) .

وعن أبى هريرة ، قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أنظرت اليها ؟ قال : لا . قال : (فاذهب فانظر اليها ، فان فى أعين الأنصار شيئا)** (٤) . وعن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اذا خطب أحدكم المرأة**

---

(١) راجع التفصيل فى هذا الموضوع : تفسير الرازى لآية : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ..) وأحكام القرآن للجصاص فى تفسير الآية المذكورة ، وتكملة فتح القدير — فصل فى الوطء ، والنظر واللمس ، والمبسوط — كتاب الاستحسان .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه مسلم .

فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل(١) ..
الى أن يقول الامام أبو الأعلى المودودى بعد ذلك ، تحت عنوان :

منع إبداء الزينة وحدودها

كان حكم غض البصر موجها الى كلا الصنفين — الرجل والمرأة —

وهناك بعد ذلك أحكام تخص المرأة وحدها . وأولها أن تجتنب ابداء الزينة الا فى دائرة معينة .

وقبل أن يتأمل القارىء مقاصد هذا الحكم وتفاصيله ، يجدر به أن يستعرض فى ذهنه تلك الأحكام التى قد مرت فى باب اللباس وستر العورات . فكل جسم المرأة الا وجهها ويديها عورة لا يحل لها كشفها حتى لابيها أو عمتها أو أخيها أو ابنها . ولا يجوز للمراة ان تكشف عورتها للمراة مثلها(١) . فاذا جعلت هذا بوعى منك فدونك الآن حدود ابداء الزينة :

١ — قد أبيح للمراة أن تبدى زينتها للرجال الآتى ذكرهم من اقاربها : الزوج والأب والحمو (أبو الزوج) والأبناء وابناء الزوج ، والاخوة وابناء الاخت .
٢ — كذلك ابيح لها أن تبدى زينتها لما ملكت يمينها اى عبيدها وامائها .
٣ — وأيضا يجوز لها أن تخرج فى زينتها أمام من هو تابع لها وتحت سيادتها من الرجال ، وليسوا ممن يميلون الى النساء ميلا شهوانيا — وقد قال الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى :

---

(١) رواه بو داود .
(٢) حرام على المرأة أن تنظر الى ما بين السرة والركبة من المرأة الأخرى كما أنه حرام على الرجل أن ينظر الى ذلك من الرجل الآخر .

(او التابعين غير أولى الاربة من الرجال) : اى الاجراءوالاتباع الذين ليسوا بأكفاء وهم مع ذلك فى عقولهم وله (١) ، ولا هم لهم الى النساء ولا يشتهونهن) .

٤ — ولها أن تبدى زينتها لاطفال لم يظهـروا على عـورات النساء ، أى الأطفال الذين لم ينبعث فيهم الشعور الجنسى .

٥ — ويجوز لها أن تخرج فى زينتها لبنات جنسها من النساء ولم يقل الله تعالى : **(النساء)** ، بل قال : **(نسائهن)** .

وظاهر أن المراد بهن النساء العفيفات ، أو اللاتى هن من قبيلتها أو قرابتها أو طبقتها . وما من سواهن من عامة النساء اللائى تكون فيهن كل مجهولة الحال والعيارة ، وذات الريبة والسـمعة والقبيحة ، فيخرجن عن مواد هذا الحكم ، لأن هؤلاء أيضا قد سكن للفتنة ، ولهذا لما دخل المسلمون بلاد الشام وكان نساؤهم يختلطن بنساء النصارى واليهود ، كتب عمر رضى الله عنه الى أبى عبيدة بن الجراح والى الشام :

(اما بعد فقد بلغنى ان نساء من نساء المسـلمين يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه) (١) . وقد صرح ابن عباس رضى الله عنه أنه ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة : ولا أن تبدى للكافرة الا ما تبدى للاجانب . وهذا الحكم لا يقصد به التفريق بين النساء على اعتبار دينى ، وانمـا المقصود به صون المسلمات من مفاسد عشرة النساء اللاتى لا يعرف شىء من أخلاقهن وآدابهن . أو قد عرف منها ما لا يرضى الاسلام ، وأما الشريفات وذوات العفة والحياء من غير المسلمات ، فلا جرم انهن يدخلن فى حكم (نسائهن) من الآية المذكورة .

---

(١) تفسير ابن كثير للاية المذكورة .

ثم يقول الامام أبو الأعلى المودودى بعد ذلك :

وبتأمل هذه الحدود يستنتج المرء أمرين اثنين :

أولهما : أن الزينة التى قد رخص للمرأة فى ابدائها فى دائرة معينة ، هى ما سوى عورة المرأة . والمراد بها : لبس الحلى والتجمل باللباس ، والتكحل والتحنؤ وتحسين الشعر ، وما اليها من انواع الزينة الأخرى التى تتخذها النساء عادة فى البيوت لاقتضاء أنوثتهن.

والثانى : انه قد رخص لهن فى ابداء مثل هذه الزينة اما لرجال البيت الذين قد حرمتهم الحرمة الأبدية عليهن ، أو التابعين الذين ليس لهم فيهن شهوة ولا فى اخلاقهم من ريبة . فذلك من الشروط للداخلات عليهن من النساء ، أن يكن من (نســـــائهن) وللداخلين عليهن من الخول ــ الخدم ــ والأتباع أن يكونوا (غير اولى الاربة) وللاطفال أن يكونوا ممن (لم يظهروا على عورات النساء) . مما يعلم منه أن مقصود الشارع هو تحديد ابداء النساء لزينتهن فى حلقة لا يخشى فيها أن تبعث زينتهن وجمالهن عواطف سوء فى القلوب أو تهىء أسبابا للفوضى الجنسية .

وأما من هو خارج هذه الحلقة من الرجال . فقد ورد النهى عن أن يبدين لهن زينتهن . بل قد حظر عليهن حتى ان يضربن بأرجلهن فى المشى ، لكى لا يظهر بالصوت ما خفى من زينتهن فتوجــــه الانظار اليهن . وان الزينة التى قد أمر باخفائها عن الاجانب ، هى التى قد أجيز لهن ابداؤها فى دائرة محدودة ذكرت آنفا . والمقصود بهذا كله واضح مستبين وهو أن النساء ان ظهرن فى زينتهن وجمالهن على الذين فيهم الشهوة الجنسية ، ولم تحول الحرمة الابدية دواعى هذه الشهوة فيهم الى العواطف البريئة المطهرة ، فلا بد أن يكون من عواقبه ما يقتضيه الطبع البشرى . ولسنا نقول ان ابداء النســــاء لزينتهن على هذا النحو سيجعل من كل امرأة عاهرة ومن كل رجل فاجرا ، الا انه مما لا يستطيع أحد أن ينكره أن فى خروج النســـاء

متبرجات ، وفى حضورهن النوادى والحفلات سافرات ما لا يعد ولايحصىمن خسائر نفسية ومادية ظاهرة وخفية وها — بين يديك — مثل النساء الاوربيات والأميركيات اللاتى يهلكن اليوم معظم دخل أزواجهن فى زينتهن ، واسرافهن هذا الى الزيادة والتفاحش يوما بعد يوم ، حتى كادت تضيق عنهم وسائل رزقهم ، فهل فى رأيك من باعث لهذا الجنون الا تلك النظرات المتشوقة التى تستقبل النساء المتبرجات فى الاسواق والمكاتب وحفلات المجتمع ؟ ثم تأمل ما هو السبب فى انبعاث هذا الشوق المفرط فى النساء الى التجمل والتأنق ، وانتشاره فيهن كانتشار الداء والوباء ، أليس هو حرصهن على أن يحلون فى أعين الرجال ويقعن منهم موقع الاعجاب والاستحسان ولماذا كله ؟ هل هى نزعة بريئة منزهة ؟ وهل ليس فى مطاويها الشهوات الجنسية الطاغية التى تكاد تتجاوز حدودها الطبيعية وتنتشر ، وتقابلها فى الصنف الاخر شهوات مثلها تريد أن تستجيب لمطالبها . ان أن انكرت هذه الحقيقة فلكأنى بك تنكر غدا ان يكون هناك فى جوف البركان الذى يصعد منه الدخان مادة نارية تكاد تنفجر منه . انك ياصاحبى حر فى عملك ، مختار فيما تأخذ أو تترك . ولكن ليس لك أن تنكر الحقائق .

* * *

ان هذه الحقائق لم تعد خافية ، بل اصبحت معلومة معروفة بنتائجها التى تتجلى اليوم كالشمس دونها غمام . وقد يكون لك أن تقبل هذه النتائج لنفسك ، بشعور منك او عدم شعور ، ولكن الاسلام يريد ان يجد فتنتها ابان نشوئها . لأنه لا ينحصر نظره فى مبدأ ابداء الزينة الذى يكون فى ظاهره بريئا من الريبة ، بل يتعداه الى منتهاه الذى لا يخلو من الريبة والفساد ويعم المجتمع بمثل ظلمة يوم

القيامة . (مثل الرافلة فى الزينة كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها) ... الخ (١) .

ومن أجمل ما قرأت كذلك — حول هذا الموضوع — كلاما قيما لابن قيم الجوزية ، يقول فيه (٢) ، تحت عنوان :

* * *

موقف الشريعة من النظر

ولما كان النظر من أقرب الوسائل الى المحرم اقتضت الشريعة تحريمه ، وأباحته فى موضع الحاجة ، وهذا شأن كل ما حرم تحريم الوسائل ، فانه يباح للمصلحة الراجحة ، كما حرمت الصلاة فى أوقات النهى لئلا تكون وسيلة الى التشبه بالكفار فى سجودهم للشمس ، أبيحت للمصلحة الراجحة كقضاء الفوات ، وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب على الصحيح .

وفى مسند الامام أحمد بن حنبل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

● **(النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امراة أورث الله قلبه حلاوة يجدها الى يوم يلقاه)** أو كما قال .

وقال جرير بن عبد الله رضى الله عنهما : سألت رسول الله

---

(١) ارجع الى كتاب الحجاب (لأبى الأعلى المودودى) لتقرأ بقية التفاصيل التى لا يتسع المقام لذكرها .

(٢) فى كتابه (حكم النظر للنساء) طبعة مكتبة التراث الاسلامى .

صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة ، فأمرنى أن أصرف بصرى) (١) ونظرة الفجاءة هى النظرة الاولى التى تقع بغير قصد من الناظر فما لم يعتمده القلب لا يعاقب عليه ، فاذا نظر الثانية تعمدا أثم ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم عند نظرة الفجاءة ان يصرف بصره ولا يستديم النظر فان استدامته كتكريره . وأرشد من ابتلى بنظرة الفجاءة أن يداويه باتيان امرأته ، وقال : (ان معها مثل الذى معها) (٢) ، فان فى ذلك التسلى عن المطلوب بجنسه .

والثانى : ان النظر أصل كل فتنة كما ثبت فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء)** (٣) . وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : **(اتقوا الدنيا واتقوا النساء)** .

وفى مسند محمد بن اسحاق السراج من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : **(اخوف ما اخاف على امتى النساء والخمر)** . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لم يكفر من كفر ممن مضى الا من قبل النساء ، وكفر من بقى من قبل النساء .

ثم يقول الامام ابن القيم ، بعد ذلك تحت عنوان :

---

(١) قال الحافظ المنذى : رواه مسلم وابو داود والترمذى .

(٢) هذا اللفظ فى رواية الخطيب والأمر باتباع الأهل فى مثل هاته الحال جاء فى أحاديث رواها أحمد ومسلم وأبو داود .

(٣) قال السيوطى : رواه البخارى ومسلم واحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

فوائد غض البصر

وفى غض البصر عدة فوائد :

أحدها : تخليص القلب من ألم الحسرة ، فان من اطلق نظره دامت حسرته ، فأضر شىء على القلب ارسال البصر ، فانه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له اليه . وذلك غاية ألمه وعذابه .. قال الأصمعى : رأيت جارية فى الطواف كأنها مهاة (١) فجعلت أنظر اليها وأملأ عينى من محاسنها ، فقالت لى : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والنظرة تفعل فى القلب ما يفعل السهم فى الرمية ، فان لم تقتله جرحته ، وهى بمنزلة الشرارة من النار ترمى فى الحشيش اليابس فان لم تحرقه كله أحرقت بعضه ، كما قيل :

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر

---

(١) المهاة هى البقرة الوحشية والجمع (مهوات) مختار الصحاح .

والمـــرء ما دام ذاعين يقلبهـــا
في أعين الغيد (١) موقوف على الخطر
يســـر مقلتـــه ما ضـــر مهجته
لا مرحبـــا بسرور عـــاد بالضـــرر

والناظر يرمى من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر ، فهو انما يرمى قلبه ، ولى من ابيات :

يا راميـــا بسهام اللخط مجتهـــدا
أنت القتيـــل بما ترمى فلا تصب
وباعث الطـــرف يرتاد الشـــفاء له
توقـــه انـــه يأتيـــك بالعطب

وقال الفرزدق :

تزود منهـــا نظـــرة لم تدع لـــه
فـــؤادا ولم يشـــعر بما قـــد تزودا
فـــلم أر مقتـــولا ولم أر قاتـــلا
بغـــير ســـلاح مثلها حين اقصـــدا

وقال آخـــر :

ومن كان يؤتى من عـــدو وحاســـة
فانى من عينى أتيت ومـــن قلبى
هما اعتورانى (٢) نظـــــرة ثم وســـزة
فما أبقيـــالى مـــن رقـــاد ولا لب

وقال آخر :

---

(١) الغيد : أى الحسناوات من النساء . .
(٢) اعتورانى : اى تداولانى فيما بينهما .

رمـــانى بهـــا طــرفى فلم تحظ مقلتى
وما كل من يرمى تصاب مقـــاتله
اذا مت فابكـــونى قتيـــلا لطرفه
قتيـــــل صـــــديق حاضر ما يزايله

وقال ابن المعتز :

متيم يرعى نجـــــوم الـــدجى
يبكى عليـــــه رحمـــــة عـــاذلة
عينى اشـــــــاطت بدمى فى الهـــوى
فابكـــــو قتيـــــلا بعضـــه قاتله

ومثله للمتبنى :

وأنا الـــذى اجتلت المنيـــة طرقه
فمن المطالب والقتيـــل والقـــــاتل

وقال ايضا :

يا نظـــــرة نفت الرقـــاد وغادرت
فى حـــــد قلبى ما بقيت فـــــلولا
كانت من الكحـــلاء ســـؤلى انما
اجلى تمثـــــل فى فـــؤادى سولا

وقال ايضا :

وقى الأمـــير من العيـــــون فانه
مالا يول بباســـــه وســــــخائه
يســـتاسر البطـــــل الكمى بنظرة
ويحـــــول بين فـــؤاده وعـــزائه

وقال الصورى :

اذا انت لم ترع البروق اللوامحـــا
ونمت جرى من تحتك السيل سائحا

غرست الهـــوى باللخط ثم احتقرته
وأهملتـــه مستأنســا متســامحا
ولــم تدر حتى أينعت شــجراته
وهبت رياح الوجــد فيه لواقحــا
فأمسيت تســتدعى من الصــبر عازبا
عليــك وتســـتدنى من النوم نازحا

ودخل اصبهان مغنى فكان يتغنى بهذين البيتين :

ســـماعا يا عبـــاد الله منى
وكفـــوا عـــن ملاحظة المــلاح
فان الحب آخـــره المنـــايا
واولـــه شـــبيه بالمـــراح

وقال آخــر :

وشـــادن لمـــا بـدا
اســـلمنى الى الـــردى
بطـــرفـــه ولطفـــه
وطرفـــه لمـــا بـدا
اردت أن اصـــــيده
فصـــاد قلبى وغـــدا

وقال آخر يعاتب عينه :

والله يا بصــرى الجانى على جسدى
لأطفئن بدمعى لوعـــة الحـــزن
تا الله تطمــع أن أبكى هـــوى وضنى
وأنت تشــبع من غمض ومن وسن
هيهـــات حتى ترى طرفا بلا نظر
كما أرى فى الهوى شـــخصا بلا بدن

وقال آخـــر :

يا مـــن يرى ســـــقمى يزيـــ
ـــد وعلتـــــى أعيت طبيبـــى
لا تعجبـــــن فهكـــــذا
تجنـــى العيـــون على القلوب

وقال آخـــر :

لو احظنــــا تجنى ولا عـــلم عندنا
وأنفسنا مأخـــوذة بالجـــــرائر (١)
ولم أر اغبى من نفوس عفـــائف
تصــــدق أخبـــار العيون الفواجر
ومن كانت الأجفـــان حجـــاب قلـــبه
أذن على احشـــائه بالفـــواقر (٢)

وقال آخـــر :

ومســــتفتح باب البـــلاء بنظرة
تزود منهـــا ــ قلبه حسرة الدهر
فوالله ما تدرى أيدرى بمـــا جنت
على قلبـــه أم اهلكته وما يدرى

وقال آخـــر :

أنـــا ما بـــين عـــدويـ
ـــن همـــا قلبـــى وطـــرفى
بنظـــر الطـــرف ويهـــوى الـــ
ـــقلب والمقصـــود حتفـــى

---

(١) الجرائر : أى الذنوب والجنايات .
(٢) الفواقر : أى الدواهى .

وقال الخفاجى :

رمت عينها عينى وراحت سليمة
فمن حاكم بين الكحيلة والعبرى
فيا طرف قد حذرتك النظرة التى
خلست فما راقبت نهيا ولا زجرا
ويا قلب قد أرداك طرفى مرة
فويحك لم طاوعته مرة اخرى

ولى من أبيات لعل معناهامبتكر :

الم اقل لك لا تسرق ملاحظة
فسارق اللحظ لا ينجو من الدرك (١)
نصبت طرفى له لما بدا شركا
فكان قلبى أولى منه بالشرك

الفائدة الثانية : أنه يورث القلب نورا واشراقا يظهر فى العين وفى الوجه وفى الجوارح ، كما ان اطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر فى وجهه وجوارحه . ولهذا والله أعلم ، ذكر الله سبحانه آية النور فى قوله تعالى : **(الله نور السموات والأرض)**(١) عقيب قوله : **(قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ..)**(٢) . وجاء فى الحديث مطابقا لهذا حتى كأنه مشتق منه وهو قوله : **(النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن غض بصره عن محاسن امراة أورث الله قلبه نورا)** الحديث .

---

(١) **الدرك** : اى التبعية وهى ما يترتب على الفعل من الخير والشر .. الا ان استعماله فى الشر .
(٢) سورة النور : **الآية** ٣٥ .
(٣) سورة النور : **الآية** ٣٠ .

الفائدة الثالثة : أنه يورث صحة الفراسة فانها من النـور وثمراته ، واذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هى ، والنظر بمنزلة التنفس فيها ، فاذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء فى مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل :

مرآة قلبـك لا تريك صـلاحـه
والنفس فيهـا دائمـا تتنفس

وقال شجاع الكرمانى : من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات وأكل من الحلال لم تخطىء فراسته . وكان شجاع (١) لا تخطىء له فراسة ، والله سبحانه وتعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنسه ، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعـالى اطلاق نور بصيرته ، فلما حبس بصره لله أطلق نور بصيرته ، ومن أطلق بصره فى المحارم حبس الله عنه بصيرته .

الفائدة الرابعة : أنه يفتح له طرق العلم وابوابه ، ويسـهل عليه أسبابه ، وذلك بسبب نور القلب ، فاذا استنار ظهرت فيـه حقائق المعلومات ، وانكشفت له بسرعة ونفذ من بعضها الى بعض ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه واظلم ، وانسد عليه باب العـلم وطرقه .

الفائدة الخامسة : أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته ، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة . وفى الاثر : ان الذى يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ، ولهذا يوجد فى المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها جعله الله لمن آثر هواه على رضاه . . .

---

(١) قائل هذا الكلام المفيد .

قال الحسن : انهم وان هملجت بهم البغـــــال وطقطقت بهم البراذين (١) ان ذل المعصية لفى قلوبهم . أبى الله الا أن يذل من عصاه . وقال بعض الشيوخ : الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه الا فى طاعة الله . ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه ، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه ، وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه ، وفى دعاء القنــوت : انه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت .

الفائدة السادسة : انه يورث القلب سرورا وفرحة وانشراحا أعظم اللذة والسرور الحاصل بالنظر . وذلك لقهره عدوه بمخالفة نفسه وهواه ، وأيضا فانه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الامارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة اكمــل منها ، كما قال بعضهم : والله للذة العفة اعظــم من لذة الذنب ، ولا ريب أن النفس اذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحا وسرورا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما . وها هنا يمتاز العقل من الهــــــوى .

الفائدة السابعة : أنه يخلص القلب من أسر الشهوة ، فان الاسير هو أسير شهوته وهواه ، فهو كما قيل : طليق براى العين وهو اسير ، ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب : تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار :

كعصـــفور فى كف طفــل يســـــــومها
حياض الروى والطفــــل يلهو ويلعب

الفائدة الثامنة : أنه يسد عنه بابا من ابواب جهنم فان النظر هو

---

(١) الهملجة : حسن سير الدابة . والطقطقة : حكاية صوت حوافر الدواب ، والبراذين : الدواب ومفردها برذون .

باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول ، فمتى هتك الحجاب ضرب على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية ، فان النفس فى هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها ، وذلك ان لذتها فى الشىء الجديد ، فصاحب الطارف لا يقنعه التليد (١) ، وان كان احسن منه منظرا واطيب مخبرا ، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذى عجزت الملوك عن استيفاء اغراضهم فيه .

الفائدة التاسعة : انه يقوى عقله ويزيده ويثبته ، فان اطلاق البصر وارساله لا يحصل الا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب . فان خاصة العقل ملاحظة العواقب ، ومرسل النظر لو علم ما تجنى عواقب نظره عليه لما اطلق بصره ، قال الشاعر :

واعقــــل الناس من لــم يرتكب سببا
حتى يفكــــر ما تجنى عواقبــــه

الفائدة العاشرة : انه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة ، فان اطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة ، عن الله والدار الاخرة ، ويوقع فى سكرة العشق ، كما قال الله تعالى عن عشاق الصور : (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (٢) . فالنظرة كأس من خمر ، والعشق هو سكر ذلك الشراب ، وسكر العشق اعظم من سكر الخمر ، فان سكران الخمر ، يفيق ، وسكران العشق قلمــا يفيق الا وهو فى عسكر الاموات ، ما قيل :

ســــكران سكر هوى وسكر مدامة
ومتى افاق من به ســــكران ؟

---

(١) التليد : القديم وضده الطارف .
(٢) سورة الحجر : الآية ٧٢ .

ثم بعد ذلك يقول الامام بن القيم الجوزى رحمه الله تعالى :

وفوائد غض البصر وآفات ارساله اضعاف اضعاف ما ذكرنا ، وانما نبهنا عليه تنبيها ولا سيما النظر الى من يجعل الله سبيلا الى قضاء الوطر منه شرعا ، كالمردان الحسان ، فان اطلاق النظر اليهم السم الناقع والداء العضال .

وقد روى الحافظ محمد بن ناصر من حديث الشعبى مرسلا ، قال : قدم وفد عبد القيس على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام مرد ظاهر الوضاءة ، فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم وراء ظهره ، وقال :

(كانت خطيئة من مضى من النظر) .

وقال سعيد بن المسيب : اذا رأيتم الرجل يحد النظر الى الغلام الأمرد فاتهموه .

وقد ذكر ابن عدى فى كامله من حديث بقية عن الوازع عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحد الرجل النظر الى الغلام الأمرد ، وكان ابراهيم النخعى وسفيان الثورى وغيرهما من السلف ينهون عن مجالسة المردان .

قال النخعى : مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء . وبالجملة فكم من مرسل لحظاته رجع تجيش صبره مغلولا ، ولم يقلع حتى تشحط بينهم قتيلا :

يا ناظـــــرا ما اقلعت لحظـــــاته
حتى تشحـــط بينهــــن قتيـــــلا

---

(١) تشحط المقتول بدمه : أي تخبط واضطراب وتمرغ .

●● والآن أخا الاسلام ، وبعد ان وقفت على تلك الاحكام الهامة ، والفوائد العظيمة التى أرجو — ان شاء الله تعالى — أن تكون من أهم أسباب غض بصرك عن كل ما يغضب الله تبارك وتعالى :

أريد أن أقول لك شيئا . . وهو انه من الخير لك — كمؤمن — ان تنفذ امر الله تعالى فى قوله : **(قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم . .)** وحسبك ترغيبا لك فى هذا الخير قوله تعالى فى نص الآية : **(ذلك ازكى لهم)** ، اى اطهر . بل وحسبك ترهيبا لك من عدم تنفيذ هذا قوله تعالى بعد ذلك فى ختام الآية : **(ان الله خبير بما يصنعون)** ، اى انه سبحانه وتعالى : يعلم السر واخفى ، و **(يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور)** (١)

الله يرى كل ما تضمر
يعلم ما تخفى وما تظهر
وان خدعت الناس لم تستطع
خداع من يطوى ومن ينشر

ومن الخير لك كذلك : أن تمتع ناظريك بالنظر الى ما احل الله تعالى لك . . وهى زوجتك التى خلقها تعالى سكنا لك ، وجعلها الله تعالى آية من آياته كما يشير الى هذا قوله تعالى :

● **(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١)** .

فهذه الآية : أو هذه الزوجة التى أحلها الله تعالى لك بالزواج الشرعى — على كتاب الله تعالى وسنة رسوله — لكى تكون سكنا لك

---

(١) سورة غافر : الآية ١٩ .
(٢) سورة الروم : الآية ٢١ .

ولكى تدوم المودة والرحمة بينكما ، لا بد وان يتمتع كل منكما بالآخر بتلك الصورة المشار اليها فى قول الله تبارك وتعالى :

● (.. **هن لباس لكم وانتم لباس لهن**)(١) .

فقد جاء فى القرطبى حول هذا المعنى الاجمالى : انه سمى بذلك لامتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه .. وذلك لانضمام الجسد الى الجسد وامتزاجهما وتلازمهما تشبيها بالثوب .

وقال بعضهم : يقال لما ستر الشىء وداراه : لباس . فجائز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما ورد فى الخبر . وقيل : لأن كل واحد منهما سترا لصاحبه فيما يكون بينهما من الجماع من أبصار الناس .. وقال الربيع هن فراش لكم ، وأنتم لحاف لهن .. مجاهد : أى سكن لكم . أى يسكن بعضكم الى بعض .

ولهذا لكى يكون هناك سكن دائم بين الزوجين : لابد وأن يكون هناك حرص من جانب كل منهما على أن يكون مؤديا للاخر حقه .. وعلى أن يكون بالنسبة له أمينا وحسن الصورة أمامه .

وذلك حتى يعين كل منهما الآخر على حفظ دينه ، ويدخل السرور على قلبه ، ويسرى الهم عنه ، ويؤنسه ويلاطفه .. وحتى يجد عنده السكن ــ المتبادل ــ والطمأنينة ، واللذة الحلال .

وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : (انى لاتزين لامرأتى كما تتزين لى ، وما أحب أن أستنظف(٢) كل حقى الذى لى عليها فتستوجب حقها الذى لها على ، لأن الله تعالى قال :

(.. **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ..)(٣)أى زينة فى غير

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .
(٢) استنظف الشىء : اذا أخذته كله .
(٣) البقـــرة : الآية ٢٢٨ .

مأثم . وعنه أيضا : أى لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذى عليهن من الطاعة فيما وجبه عليهن لأزواجهن وقيـل ان لهن على أزواجهـن ترك مضـارتهن كما كان ذلك عليهن لازواجهن ، قال الطبرى : وقال ابن زيد : تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم ، والمعنى متقارب ، والآية تعم جميع ذلك من حقوق الزوجية .

وحول موضوع زينة الرجال ، قال العلماء :

اما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم ، فانهم يعملون ذلك على اللبق (١) والوفاق ، فربما كانت زينة تليق فى وقت ولا تليق فى وقت وزينة تليق بالشباب ولا تليق بالشيوخ ، وزينة تليق بالشـيوخ ولا تليق بالشباب . . الا ترى أن الشيخ والكهل اذا حف شاربه ليق به ذلك وزانه ، والشاب اذا فعل ذلك سمج ومقت لأن اللاحية لم تفر بعد ، فاذا حف شاربه فى أول ما خرج وجهه سمج ، واذا وفرت لحيته وحف شاربه زانه ذلك . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : **(امرنى ربى ان اعفى لحيتى واحفى شاربى)** .

وكذلك فى شأن الكسوة ، ففى هذا كله ابتغاء الحقوق ، فانه استعمل اللائق والوفاق ليكون عند امراته فى زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال .

وكذلك الكحل من الرجال : منهم من يليق به ، ومنهـم من لايليق به .

فأما الطيب، والسواك ، والخلال ، وفضول الشعر ، والتطهير وقلم الاظافر : فهو بين موافق للجميع .

---

(١) اللبق بالفتح : اللباقة والحذق .

والخضاب للشيوخ ، والخاتم للجميع من الشباب والشيوخ زينة وهو على الرجال(١) .. ثم يقول العلماء :

ثم عليه أن يتوقى أوقات حاجتها الى الرجال فيعفها ويغنيها عن التطلع الى غيره .

وان رأى الرجل من نفسه عجزا عن اقامة حقها فى مضجعها أخذ من الأدوية التى تزيد فى باهه ، وتقوى شهوته حتى يعفها .

والى هذا يشير العربى الأصيل فى قوله :

فان تسألونى بالنساء فاننى
بصير بأدواء النساء طبيب
يردن ثراء المال حيث علمته
وشرخ الشباب عندهن عجيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له من ودهن نصيب

●● فعلى الزوجين أن يلاحظا هذا حتى يحرص كل منهما على أن يكون حسن الصورة امام صاحبه وشريك حياته : على هذا الاساس الذى وقفنا عليه ولا سيما من جانب الزوجة الصالحة حتى تعف زوجها عن الحرام .. وحتى يقبل عليها زوجها فيعفها كذلك عن اللذة الحرام التى كثيرا ما تكون بسبب انصراف الزوج عن زوجته أو بسبب عدم ظهورها أمامه بالمظهر الذى يسره ، أو بسبب عدم تلبيتها لرغباته التى احلها الله تعالى على اساس من التعقل والنظام :

● فعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول :

---

(١) اذا كان من الفضة لان الذهب حرام على الرجال ، وكذلك الحرير الخالص .

(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة ، ان أمرها اطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان اقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله(١) ، فمعنى(٢) :

صالحة : أى برة تقية عفيفة نقية عاقلة مهذبة كثيرة الشكر قليلة الشكوى ، رحيمة القلب . . .

واطاعته : أى فيما لا معصية فيه لله عز وجل فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وسرته : أن لا يقع نظره عليها الا ويحس بالسرور والفرح فهى دائمة الابتسام نظيفة البدن والثياب جميلة الحركات .

وأبرته : أى أن حلف على شىء أن تفعله او لا تفعله ابرت يمينه ولم توقعه فى الحنث .

ونصحته فى نفسها وماله : نصيحتها له فى نفسها أن لا تخرج من بيتها ما دام غائبا الا لضرورة وان لا تسمح لأحد من الرجال بالدخول عليها وأن لا توطىء فراشه من يكره وأن تكون على الحال التى يحبها منها . ونصيحتها له فى ماله : أن تجتهد فى حفظه وتنميته وان لا تنفق منه الا بقدر حاتها بلا تبذير ولا تقتير .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : (أربع من أعطيهن(٣) فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لاتبغيه حوبا فى نفسه وماله)(٤) .

---

(١) رواه ابن ماجه عن على بن زيد عن القاسم عنه .
(٢) كما يقول فى معاش الترغيب والترهيب بتصرف .
(٣) بالبناء للمجهول أى أعطاه الله اياهن .
(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، واسناد أحدهما جيد .

الحوب : بفتح الحاء وضمها :

الاثم . وفى رواية (خونا) بالخاء المعجمة والنون ، اى لاتطلب له خيانة .

وذلك بأن تمكن غيره من الزنا بها ، وبأن تتصرف فى ماله بما لا يرضيه .

● وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **(الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة)**(١) .

يعنى أن أفضل ما ينتفع به — المؤمن — من متاع الدنيا . هو المرأة الصالحة التى — كما اشرنا قبل ذلك — انا نظر اليها الزوج سرته ، واذا أمرها اطاعته ، واذا أقسم عليها أبرته ، واذا غاب عنها حفظته فى نفسها وفى ماله .

وكذلك بالنسبة للمرأة — المؤمنة : خير متاع لها الزوج الصالح الذى ان نظرت اليه سرها . . وكان مؤديا لجميع حقوقها . . ومعينا لها على طاعته وطاعة ربها . . .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : **(خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى)** رواه ابن ماجه والحاكم الا انه قال : **(خيركم خيركم للنساء)** وقال : صحيح الاسناد .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (استوصوا بالنساء : فان المرأة خلقت من ضلع ، وان أعوج ما فى الضلع اعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل اعوج ، فاستوصوا بالنساء) رواه البخارى ومسلم وغيره .

---

(١) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه .

وفى رواية لمسلم : (ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمتعت بها ، استمتعت بها وفيها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتا وكسرها طلاقها) .

قال فى الفتح : (وفى الحديث : الندب الى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب ، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن وان من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن مع انه لا غنى للانسان عن المرأة يسكن اليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال : الاستمتاع بها لا يتم الا بالصبر عليها) .

فعلى الزوجين المؤمنين ان يلاحظا كل هذا وينفذاه حتى يدوم الود بينهما .. وحتى يكون هناك ان شاء الله تعالى ــ لسبب هذا الود المتبادل الاستغناء باللذة الحلال عن اللذة الحرام .. التى ان حدثت والعياذ بالله من جانبهما أو من جانب أحدهما . كان الجزاء هو جهنم وبئس المصير .

وليذكرا ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء والمعراج ، وهو انه : **(مر على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نيىء خبيث فى قدر .. فجعلوا ياكلون من النيىء الخبيث ويدعون النضيج !!)** فتعجب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم سأل جبريل عليه السلام عن هذا المشهد العجيب الذى رآه ؟ فقال له ــ جبريل ــ : (هذا الرجل من امتك تكون عنده المرأة حلالا طيبا فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح .. والمرة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا تبت عنده حتى تصبح) . .

ولهذا ، فقد أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض البصر من جانب كل واحد منهما نحو الآخر ما دام اجنبيا عنها أو أجنبية عنه (1) ..

---

(1) كما تشير الآية ٣٠ ، ٣١ فى سورة النور .

وذلك لأن النظرة ، كما عرفنا — هى الاساس فى هذهالجريمة النكراء — وهى للزنا — والى هذا يشير الشاعر فى قوله :

نظـــرة فابتســـامة فســـــلام
فكـــــلام فموعـــــد فلقـــاء

ومعروف ماذا بعد هذا اللقـــاء الذى سيحضره — حتما — الشيطان الرجيم .

ومن اجل ذلك فقد :

● روى عن ابى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

(اياك والخلوة بالنساء ، والذى نفسى بيده ما خلا رجـل بامرأة الا ودخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيرا متلطخا بطين او حماة (١) خير له من ان يزحم منكبه منكب أمرأة لا تحـل له) حديث غريب رواه الطبرانى .

ولكنه (٢) على ضعفه وغرابته موافق للاحاديث الصحيحة فى التحذير من الخلوة بالنساء ومحاولة الالتصاق بهن كما يفعله الدعار والفسقة فى الأماكن المزدحمة التى يختلط فيها الجنسان كالموالد التى تقام عند أضرحة المشايخ المقبورين وكالمركبات العامة ودور اللهو وغيرها نسأل الله العافية .

فلنلاحظ جميعا كل هذا سواء كنا ازواجا أم غير ازواج لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد حذرنا جميعا من نتائج كل هذا .

● فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليهوسلم

---

(١) أو هنا شك من الراوى ولا يجوز ان تكون للعطف لأن الحماة هى الطين .

(٢) كما يقول فى هامش الترغيب والترهيب .

قال : **(كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا)** (١) ، فهو مدرك ذلك لا محالة (٢) ، العينان : زناهما النظر ، والاذنان ، زناهما الاستماع واللسان : زناه الكلام ، واليد : زناها البطش ، والرجل : زناها الخطى ، والقلب : يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) رواه مسلم والبخارى باختصار ، وابو داود والنسائى . وفى رواية لمسلم وابى داود : (واليدان تزنيان ، فزناهما البطش ، والرجلان تزنيان ، فزناهما المشى ، والفم يزنى فزناه القبل) : فالمعنى هو :

ان العينين زناهما النظر : أى بالتذذ بالنظـــر الى محاسن النساء .

وان الاذنين تزنيان : بالقاء السمع الى صوت النساء بقصــد التلذذ كما يشاهد فى حفلات الغناء .

وان اللسان زناه بالتحدث مع المراة الاجنبية بالكــلام الذى يتصل بالجماع وكذلك الغزل والتشبيب ونحو ذلك .

وان اليد زناها الامساك بالمرأة ولمس اعضائها .

وان الرجل زناها المشى الى اماكن الحسناوات .

والقلب يهوى ويتمنى .. حصول الشهوة واللذة .

ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه : أى انه لا يحكم على فعل هذه الاعضاء بالزنا الا اذا التقى الفرج بالفرج فحينئذ يعلم انه انما أراد بفعله أن يكون مقدمة للزنا ويكون بذلك مستوجبا لاقامة الحــد عليــه .

---

(١) أى قدر عليه حظه منه فلا معدى له عنه .

(٢) أى فهو بالغ ما قدر له من الزنا ولا حيلة فى التخلص من ادراك ما كتب عليه .

وانما سميت هذه الأمور زنا لانها مقدمات للزنا تدعــو اليه وتقويه ولهذا قال سبحانه : **(ولا تقربوا الزنا)** أى لا تأخــذوا فى وسائله من نظر ولمس وتقبيل فيؤدى بكم ذلك الى الوقوع فيه.

فلنكن ان شاء الله تعالى من المبتعدين عن كل تلك المقدمات التى تؤدى غالبا الى التهلكة .. حياءا من الله تبارك وتعالى .. ولنكن من القانعين بالحلال حتى تعف نساؤنا ..

عفوا تعف نســـاؤكم فى المحــرم
وتجنبـــــوا ما لا يليق بمســـلم
ان الــزنا دين فــان ســـلفته
كان الوفــا من أهــل بيتك فاعــلم
من يزن بامـــرأة بألفى درهــم
فى بيتــه يزنى بغـــير الدرهــم
لو كنت حــرا من ســـلالة طاهر
ما كنت هتـــاكا لحرمـــة مسلم

● وقد ورد كذلك فى الأثر :

(اعمل ما شئت .. كما تدين تدان) .

●● ومن الخير لك كذلك اخا الاسلام بدل ان تنظر الى ما لا يحمد عقباه ، ان تنظر الى ما فى ملكوت الله من آيات بينات . . وذلك حتى تصل عن طريق ذلك الى معرفة الله تبارك وتعالى حق المعرفة :

ففــى كـــــل شىء له آيـــة
تـــدل على انـــه الواحـــــد
تأمـــــل ســـطور الكائنـــات فانها
مـــن المـــلأ الأعلى اليك رســـائل
وقد خط فيها ــ لو قرأت ــ سطورها
ألا كل شىء ما خـــلا الله باطـــل

شرد النـــوم من جفـونك وانظر
حكمـــة توقظ النفوس النيــاما
فحرام على امرىء لم يشـــاهد
حكمــة الله ان يذوق المنـــاما
تبصـــر حين كان لك التبصـــر
وفى ذات الالـــه دع التفـــكر
وان ترد المهيمـــن حـــين تذكـــر
تأمـــل فى نبات الارض وانظـــر
الى آثـــار ما صـــنع المليك
فأنوار الميهمـــن ســـاطعات
وافـــكار الخـــلائق ســـائرات
ولـــكن الأدلـــة واضـــحات
أصـــول من لجـــين زاهـــرات
على اغصـــانها ذهب ســـبيك
شـــموس فى البرية مشـــرقات
نجـــوم فى الدياجى لامعـــات
بطـــول الدهـــر دوما سابحات
الى ما لست أدرى طـــائرات
يخـــير بها له الجـــرم السميك
رياض مونقـــات منعشـــات
والـــوان لعينـــك مدهشـــات
واغصـــان ســـرك باضـــرات
على قصـــب الزبرجـــد شاهدات
بأن الله ليس له شـــريك

ولهذا ، فان الله تعالى يأمرنا ـــ نحن المؤمنين ـــ بأن نتأمل حتى فى النبات الذى ناكله حتى نقف على المراحل الاساسية التى سبقت تكوينه قبل ان يصل الينا .. فيقول تبارك وتعالى :

● (**فلينظر الانسان الى طعامه ● انا صببنا الماء صـــبا ● ثم شققنا الأرض شقا ● فانبتنا فيها حبا ● وعنبا وقضبا ● وزيتونا ونخلا ● وحدائق غلبا ● وفاكهة وأبا ● متاعا لكم ولأنعامكم**) (١).

كما يقول تبارك وتعالى :

(**فلينظر الانسان مم خلق ● خلق من ماء دافق ● يخرج من بين الصلب والترائب**) (٢) .

كما يقول سبحانه وتعالى :

(**افلا ينظــرون الا الابل كيف خلقت ● والى السماء كيف رفعت ● والى الجبال كيف نصبت ● والى الأرض كيف سطحت** (٣)

وذلك حتى نكون — باختصار — من أولى الألباب :

● (**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض**) (٤) ثم يقولون :

● (**ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) (٥) .

وحسبك انك ستصل بعد التأمل والتفكير السليم الى هـــذه النتيجة التوحيدية العظيمة التى وصل اليها كسرى انو شروان ملك الفرس يوم أن صفت نفسه ، وأشرق فكره ، فقال يخاطب الفلك :

● (أيها الفلك : ان بناء انت سقفه لعظيم ، وان بيتا انت عطاؤه لجليل ، وان شيئا أنت تظله لكبير ، وان فيك عجبا للمتعجبين فليت شعرى : أعلى عمـــد من تحتك تستمسك ؟ أم بمعاليق من

---

(١) سورة عبس : الآية ٢٤ — ٣٢ .
(٢) سورة الطارق الآية ٥ — ٧ .
(٣) سوة الغاشية الآية ١٧ — ٢٠ .
(٤) ، (٥) سورة آل عمران الآية ١٩١ .

فوقك ؟ ولعمرى : ان ملكا امسكتك قدرته لملك عظيم ، وانه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير ، وان من غفل عن التفكير فى هذه العظمة لغر صغير !

وليت شعرى ، ايتها الافلاك : بم طلوعك حين تطلعين ، وبم مسيرك حين تسيرين ، وأفولك حين تأفلين ، وعلام سقوطك حين تغيبين !

ليت شعرى ، أساكنة ام تتحركين ؟ أم كيف صفتك التى بها تتصفين ؟ ولونك الذى به تتسمين ؟ ومن سمك بأسمائك التى بها تعرفين ؟

فسبحان من لأمره تنقادين ، وبمشيئته تجرين ، وبصنعته استقامتك حين تستقمين ، ورجوعك حين ترجعين) .

●● واننى لا اطالبك بأن تتأمل فى كل هذا لاذى أشات اليه الآيات القرآنية ، أو بمثل هذا الذى فعله كسرى انو شروان . . وانما اطالبك حتى اختصر لك الطريق الى معرفة ربك سبحانه وتعالى : بأن تتأمل فى نفسك انت .. كما يشير الى هذا قوله تعالى :

● (وفى انفسكم أفلا تبصرون) (١) .

نعم حسبك أن تتأمل فى نفسك حتى تقف عن طريقها علىعظمة الخالق سبحانه وتعالى الذى يقول :

● (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ● ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ● ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (١) .

---

(١) الذاريات : الآية ٢١ .
(٢) المؤمنون : الآية ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

نعم تبارك الله أحسن الخالقين .

وحسبك أن تقف بنفسك على هذا الابداع الالهى .. بوقوفك امام المرآة متسائلا وأنت تدقق النظر فى وجهك الدقيق الصنع الذى ابدع الخالق الاعظم تصويره : كيف ترى هذه العين ؟ كيف يشم هذا الأنف ؟ وكيف تسمع هذه الاذن ؟ وكيف يتكلم هـــــذا اللسان وكيف يتذوق ؟ وكيف تطحن هذه الاسنان ؟ وكيف يصل الطعام الى المعدة ؟ ثم كيف تقوم المعدة بهضم هذا الطعام وتوزيع رحيقه على كل عضو من اعضاء الجسد بدون جور ؟ وكيف يخرج البراز والبول من الداخل ؟ وما الذى كان يحدث لو لم يخرج هذا البراز أو البول ؟ ثم قل بعد ذلك ما كان يقوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد خروجه من الخلاء :

● **(الحمد لله الذى اذهب عنى الأذى وعافانى) (١) .**

● **(الحمد لله الذى اذاقنى لذته ، وابقى فى قوته واذهب عنى أذاه) (٢) .**

وتستطيع كذلك أخا الاسلام وانت تدقق النظر فى وجهك أمام المرآة ان تتساءل كذلك : لماذا ينبت الشعر فى مكان ثم لا ينبت فى مكان ؟ ولماذا لا يطول شعر الرمش والحاجب كما يطول شعر اللحية والشارب ؟ ولماذا لا ينبت الشعر من الداخـــل .. وما الذى كان يحدث لو حدث هذا ..

ثم قل كذلك بعد ذلك :

تا الله لو ســـــجدنا بالعيـــــــون له

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه .
(٢) حديث شريف ضعيف .

على شبا الشوك (١) والمحمى من الابر
لم نبلغ العشـــــر من معشـــار نعمته
ولا العشير ، ولا جزءا من العشـــــر

وقد قرأت أن رجلا كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه فقـــــال :

انى أتعجب من أمر الشطرنج ، فان رقعته ذراع فى ذراع ، ولو لعب الانسان ألف مرة فانه لا تتفق مرتان على وجه واحد ، فقال عمر : ها هنا ما هو أعجب من هذا ، وهو ان مقدار الوجه شبر ، ثم ان مواضع الاعضاء فيه كالحاجبين والعينين والانف والاذنين لا تتغير البتة .

نعم لقد صدق عمر رضى الله عنه ، فما وجد انسان قط ، انفه مكان عينيه ، ولا عينه مكان اذنه ، ولا عضو مكان عضو !!

فهل فكر الانسان الغافل فى كل هذا .. وهل نظر فى نفسه وتأمل بثاقب فكره فيما حواه جسده واعضاؤه من دلائل القدرة ، وبراهين القصد والتدبير ، والعطف السابغ الكريم ؟

هل عرف الانسان انه لا يمكن أن يتشابه اثنان تمام التشابه على وجه الارض ، حتى ولو كان أحدهما فى اقصى المشرق والاخر فى اقصى المغرب ومع هذا العدد الهائل البالغ أكثر من آلاف الملايين من البشر ؟ !

واننى اطالبك كذلك أخا الاسلام أن تتأمل فى بعض مخلوقات الله تعالى القريبة منك .. وليكن هذا المخلوق مثلا هو النملة التى يلفت انظارنا اليها فيقول :

● (انظروا الى النملة : فى صغر حجمها ولكافة هيئتها ..

---

(١) شبا الشوك : أطرافه .

لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر .. كيف دبت على ارضها وحبت على رزقها .. تنقل الحبة الى جحرها ، وتعدها فى مستقرها تجمع فى حرها لبردها ، وفى ورودها لصـــدرها ، مكفولة برزقها ، مرزوقة بوقفها ، لا يغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ولو فى الصفا (١) اليابس ، والحجر الجامس (٢) ، لو فكرت فى مجارى اكلها ، فى علوها وسفلها ، وما فى الجوف من شراسيف (٣) بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها : لقضيت من خلفها عجبا ، ولقيت من وصفها تعبا ، ، فتعالى الذى أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، لم يشركه فى فطرته فاطر ، ولم يعنه فى خلقها قادر) !!

نعم ان الانسان العاقل اذا تأمل فى هذه النملة سيرى ــ كما قرات ــ من أمرها وفى تكوينها العجب العجاب .

ان لها ــ مع أخواتها ــ بيوتا تحت الارض تعج بالاعمـــــال والعمال تحرث ، وتزرع وتحصد ، وترعى بعض الحرات لتربيتها وتكثيرها ! .

انها تخزن فى الصيف ، ما تحتاج اليه فى الشتاء ، وتترقبطلوع الشمس فتعرض ما خزنته للحرارة : فهل ادركت ان الرطوبة تفسده فعرضته للشمس ؟ وتخـــــرق الحب حتى لا ينبت اذا ما لا مسته الرطوبة . فمن الهمها ذلك ؟

للنملة عين واذن وبطن ورأس وقوائم وخلايا عديدة ، فكيف تكونت بهذهالدقة المتناهية والبراعة الفائقة ؟! انها على صغرها تأتى من الاعمال والصبر والكفاح فى سبيل الوصول الى غرضها مايضرب

---

(١) أى الحجر الاملس .
(٢) أى الحجر الجامد .
(٣) جمع شرسوف ، وهو الضلع المشرف على البطن .

به المثل ، ويحير اذكى الاذكياء ؟ ويكفى فى صبرها وكفاحها ما يقوله عنها (القائد /تيمور لنك) المغولى :

(علمتنى الثبات فى مواقف الصعوبات) !

أجل ! فقد هزم فى معركة يئس منها بعد كفاح مرير عنيف وبينما هو جالس يفكر فى المصير المظلم . اذ راى على مقربة منه نملة تحمل عبئا ثقيلا . تحاول الصعود على شجرة . وهى تبذل فى ذلك الجهد الجهيد وكلما ارتقت جزءا من الجذع سقطت . وتحاول وتحاول الكرة بعد الكرة ، وفى المرة العـــــاشرة .. وصلت بحملها الثقيل الى هدفها المنشود . وكان درسا قيما (لتيمور لنك) فعاد وجمع فلول جيشه ، وحارب الاعداء وكسب المعركة .

نعم انها النملة التى قالت لبنى جنسها عندما احست بسليمان وجنوده وهم فى الطريق الى وادى النمل (١) :

●● (يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم ســـليمان وجنوده وهم لا يشعرون ● فتبسم ضاحكا من قولها ..) (٢) .

فقد اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعا من البلاغة : أولها : النداء بيا . ثانيها : لفظ : أى . ثالثها : ها الشبيه . رابعهـــا : التسمية بقولها : النمل . خامسها الأمربقولها : ادخلوا . سادسها : التنصيص بقولها : مساكنكم . سابعها : التحذير بقولها : لايحطمنكم ثامنها : التخصيص بقولها سليمان . تاسعها : التعميم بقولها : وجنوده . عاشرها : الاشارة بقولها : وهم . حادى عشرها : العذر بقولها : لا يشعرون .

وكانت النملة هـــذه عرجاء ذات جناحـــين ، وهى من جملة

---

(١) وكان هذا من على بعد ثلاثة اميال . .

(٢) سورة النمل : الآية ١٨ ، ١٩ .

الحيوانات العشرة التى تدخل الجنة ، وهى : براق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهدهد بلقيس ، ونملة سليمان ، وعجل ابراهيم ، وكبش ولده ــ اسماعيل ــ وبقرة بنى اسرائيل ، وكلب اهــل الكهف ، وحمار العزيز ، وناقة صالح ، وحوت يونس .

وروى أن سليمان عليه السلام قال لهــذه النملة (١) : لم حذرت النمل .. أخفت من ظلمى .. أما علمت انى نبى عدل .. فلم قلت : لا يحطمنكم سليمان وجنوده ؟ فقالت النمــلة : أما سمعت قولى : وهم لا يشعــون . مع انى لم أرد حطم النفوس ، وانما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما اعطيت ويفتتن بالدنيا ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح والذكر .

ثم بعد ذلك مضت مسرعة الى قومها فقالت : هل عندكم من شىء نهديه الى نبى الله ؟ قالوا : وما قدر ما نهدى له ، والله ماعندنا الا نبقة واحدة . فقالت : حسنة .. ائتونى بها .. فأتوها بها .. فحملتها بفيها وانطلقت تجرها .. وأمر الله الريح فحملتها واقبلت تشق الجن والانس والعلماء والانبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه وانشأت تقول :

الم ترنــا نهــدى الى الله مــاله
وان كان عنــه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهــدى للجليــل بقدره
لأقصر عنــه البحــر يوما وساحله
ولكننا نهــدى الى من نحبــه
فيرضى بهــا عنا ويشــكر فاعله
ومــا ذاك الا من كــريم أفعــاله
والا فمــا فى ملكنــا ما يشــاكله

فقال لها : بارك الله فيكم .. فهم بتلك الدعوة أشكر واكثر خلق الله ...

ثم يقول بعد ذلك فى (حاشية الصاوى على الجلالين) : والنمل حيوان معروف شديد الاحساس والشم حتى انه يشم الشىء من بعيد ، ويدخر قوته .. ومن شدة ادراكه : انه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الانبات ، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق لانها اذا فلقتفلقتين نبتت ، ويأكل فى عامه نصف ما جمع ويستبقى باقيه عدة .

وهكذا اخا الاسلام عشنا ـ باختصار ـ مع نملة .. فما بالك لو أطلنا النظر ـ مثلا ـ الى مخلوق ضخم من دواب الارض ، أو من عجائب البحر ..

اننا لا شك لن نستطيع مواصلة النظر اليه أو التفكير فيه .. لان هذا قد يستغرق وقتا طويلا لا يتسع المقام له .

وحسبك يا اخى كما اوصيتك قبل ذلك أن تكون مشغولا بالله عن كل شىء سواه .. وذلك بمحاولة الوقوف على سر عظمته فى كل شىء تراه فوقك أو تحتك من نجوم وكواب ، وورود ، ورياحين واشجار ونبات وغلات .

وحسبى حتى أعيش معك حول (دلائل قدرة الله) أن أذكرك ونفسى بقصيدة توحيدية لفضيلة الشيخ (الصاوى شعلان) رحمه الله تعالى .. يقول فيها :

نشر الصبح على الدنيـــا ســـناه
وســـقى الروض رحيقا من نداه
واكتسى الروض من النـــور حـــلاه
الندى من فيض من ؟ ! ** والضحى من نور من ؟ !

* * *

اقبلت فى بســمة الفجر الطيــور
تسكب الالحـــان عطرا فى الزهور

تصـــنع العش وتسعى فى البكور
عيشها فى رزق من ؟ ! ** وهى أيضا صنع من ؟ !

* * *

حـــوت الارض أفانين الشـــجر
بين الـــوان وطـــول وقصر !!
وغصـــون وارقـــات وثمـــر
منبت الاشـــجار من ؟ !
راســـم الالـــوان من ؟ !

* * *

وترى الشمس عـــروس المشرق
وجمـــال البـــدر عند الافق
سابحا فى الطيلســان الازرق
الدرارى صـــنع مـــن ؟ !
والســـموات لـــن ؟ !

* * *

داعب النمـــل من الزهـــر شـذاه
وأحـــال الورد شـــهدا فى رباه !!!
وبنت هندســـة النمـــل قراه
مرشـــد النحـــلة مـــن ؟ !
ملهـــم النمـــلة مـــن ؟ !

* * *

الجنـــين اســـتقبل الرزق الجـــديد
وتوالى وهـــو فى المهـــد السعيد !
قبل أن تنبت أســـنان الوليد

أطعمته يد من ؟ !
صورته يد من ؟ !

* * *

لم يا مخلوق آثرت الجمود ؟ !
كنت معدوما فمن أين الوجود ؟ !
أهى الصدفة أم رب ودود
قبله فى الكون من ؟ !
بعده فى الملك من ؟ !

* * *

لو تناهيتم الى سر الحياة
وصنعتم كائنا حيا نراه !!
لم نزد الا يقينا بالاله !!

نعم انه الرب العظيم الذى ان تأملنا كثيرا وقفنا على سر عظمته وازددنا به يقينا على يقين .

●● وأما عن :

حفظ الفؤاد[1]

فالمراد به حفظ القلب — حياء من الله تعالى — من امراض القلوب التى من أهمها :

١ — الغضب :

وهو من اخطر أمراض القلوب التى كثيرا ما اهلكت المصابين

---

(١) قال فى مختلف الصحاح : (الفؤاد) القلب وجمعه (أفئدة) .

بها .. بل كثيرا ما كانت سببا فى كثير من المشاكل والخلافات التى قد يعجز العقل عن وجود حل لها ولا سيما فى محيط الاسرة التى ولابد وأن يكون وليها حليما وكاظما غيظه حتى لايهدم بيته من أساسه ويكون سببا فى تشريد أبنائه .

وقد ذكر فى الاحياء بعض الأحاديث والآثار المشيرة الى هذا والتى منها :

● حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى ، والذى جاء فيه : ان رجلا قال : يا رسول الله ، مرنى بعمل واقلل . قال : **(لاتغضب)** ثم أعاد عليه فقال : **(لا تغضب)** .

● وحديث أبى هريرة المتفق عليه والذى قال فيه النبى صلى عليه وسلم : **(ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب)** .

● وقال سليمان بن داود عليهما السلام : (يا بنى اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم) .

● وعن ذى القرنين ، انه لقى ملكا من الملائكة ، فقال : علمنى علما ازداد به ايمانا ويقينا .. قال : لا تغضب ، فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدام حين يغضب .. فرد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة ، واياك والعجلة ، فانك اذا عجلت أخطأت حظك ، وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ، ولا تكن جبارا عنيدا .

● وعن وهب بن منبه ، أن راهبا كان فى صومعته ، فأراد الشيطان أن يضله ، فلم يستطيع ، فجاءه حتى ناداه ، فقال له : افتح فلم يجبه ، فقال افتح فانى ان ذهبت يدمت فلم يلتفت فقال انى أنا المسيح . قال الراهب : وان كنت المسيح ، فما أصنع بك ؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ؟ ووعدتنا القيامة ؟ فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك . فقال : انى الشيطان ، وقد أردت أن أضلك

فلم أستطع ، فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك . فقال ما اريد أن أسألك عن شيء . قال : فولى مدبرا . فقال الراهب الا تسمع ؟ قال بلى . قال : أخبرنى أى أخلاق بنى آدم اعون لك عليهم ؟ قال : الحدة (١) . ان الرجل اذا كان حديدا ، قلبناه كما يقلب الصبيان الــــكرة ..

● وقال خيثمة : الشيطان يقول : كيف يغلبنى ابن آدم ، واذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه ، واذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه .

● وقال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر .

●● ولهذا كان لا بد وان تغلق باب الشر هذا ، وان تكسر مفتاحه هذا ــ وهو الغضب ــ وذلك بكظم غيظك حتى تكون من المتقين المشار اليهم فى قول الله تبارك وتعالى :

● **(.. والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)(٢) .**

● وقد ورد فى الاثر ان رجلا قال لعمر رضى الله عنه ، والله ما تقضى بالعدل ، ولا تعطى الجزل . فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه ، فقال له رجل يا امير المؤمنين ، الا تسمع ان الله تعالى يقول : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)(٣) .** فهذا من الجاهلين . فقال عمر : صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت.

●● فلاحظ هذا أخا الاسلام حتى تكظم غيظك وتطفىء غضبك

---

(١) أى الغضب .
(٢) آل عمران : الآية ١٣٤ .
(٣) الأعـــــراف : الآية ١٩٩ .

وحسبك ان تستعين على هذا (١) بالدعاء الذى جاء فى نصه: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال :

● **(يا غويش قولى : اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى واجرنى من مضلات الفتن) (٢) .**

قال فى الاحياء : فان لم يزل ــ الغضب ــ بذلك ، فاجلس ان كنت قائما ، واضطجع ان كنت جالسا ، واقترب من الارض التى منها خلقت ، لتعرف بذلك ذل نفسك ، واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون ، فان سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● **(ان الغضب جمرة توقد فى القلب الم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه ؟ فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم)(٣) .**

ثم يقول بعد ذلك فى الاحياء : فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل ، فان النار لا يطفئها الا الماء ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :

● **(اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار)(٤)**
وفى رواية :

---

(١) كما يقول فى احياء علوم الدين بتصرف .
(٢) رواه ابن السنى فى اليوم الليلة .
(٣) رواه الترمذى من حديث أبى سعيد دون قوله : (توقد) ورواه بهذه اللفظة البيهقى فى الشعب .
(٤) الحديث رواه أبو داود من حديث عطية السعدى دون قوله (بالماء البارد) وهو بلفظ الرواية الثانية .

● **(ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) .**

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم :

● **(الا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجـــه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خـــده بالأرض (١) .**

وهذا ـ كما يقول فى الاحياء بعد ذلك ـ اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل ، وتزايل به العزة والزهو الذى هو سبب الغضب .

● فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، وكن حليما وكريما كهـــذا الرجل العاقل الذى يقول :

سألزم نفسى الصفح عن كل مـــذنب
وان كثرت منـــه على الجـــرائم
وما النـــاس الا واحــــد من ثلاثة
شريف ومشروق ومثـــل مقـــاوم
فأما الذى فـــوقى فأعرف قـــدره
واتبـــع فيـــه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال ضنت عن
اجـــابتـــه عرضى وان لام لائـــم
وأما الذى مثلى فان زل أو هفـــا
تفضلت ان الفضـــل بالحلم حاكـــم

---

(١) الحديث رواه الترمذى وقال حسن .

٢ ـ الحقــد :

وهو ثمرة الغضب .. وقد قال مشيرا الى هــذا فى الاحياء : اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال ، رجع الى الباطن واحتقن فيه ، فصار حقدا ، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله ، والبغضة له ، والنفار عنه ، وان يدوم ذلك ويبقى . وقد قال صلى الله عليه وسلم :

● (**المؤمن ليس بحقود**) (١) .

فالحقد ثمرة الغضب ، والحقد يثمر ثمانية أمور :

الأول : الحسد ، وهو ان يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه ، فتغتم بنعمة أن اصابها ، وتسر بمصيبة ان نزلت به . وهذا من فعل المنافقين .

الثانى : ان تزيد على اضمار الحسد فى الباطن ، فتشمت بما اصابه من البلاء .

الثالث : أن تهجره وتصارمه ، وتنقطع عنــه ، وان طلبك واقبل عليك .

الرابع : وهو دونه ، أن تعرض عنــه استصغارا له .

الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل ، من كذب ، وغيبــة ، وافشاء سر ، وهتك ستر ، وغيره .

السادس : ان تحاكيه استهزاء به ، وسخرية منه .

السابع : ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه .

---

(١) قال العراقى فى الاحياء (فى العلم) لم افق على اصل .

●● فلاحظ كل هذا خا الاسلام ، حتى لا تكون حقــودا أو حسودا .. وحسبك ان تعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

الثامن : أن تمنعه حقه من قضاء دين ، أو صلة رحم ، أو رد مظلمة . وكل ذلك حرام .

● **(الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) (١)** ، وقال :

● **(لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا) (٢)** .

وحسبك أن تقرأ كذلك هذا الحديث :

● قال أنس : كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنـــــة) قال : فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه ، قـــد علق نعليه فى يده الشمال ، فسلم . فلما كان الغد ، قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .فطلع ذلك الرجل . وقاله فى اليوم الثالث ، فطلع ذلك الرجل . فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له : انى لاحيت (٣) أبى ، فأقسمت أن لا ادخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى الثلاث فعلت . فقال نعم . فبات عنده ثلاث ليال ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ، ولم يقم حتى

---

(١) الحديث رواه أبو داود وابن ماجه .
(٢) الحديث متفق عليه .
(٣) أى خاصمته ونازعته .

يقوم لصلاة الفجر . قال : غير انى ما سمعته يقول الا خيرا ، قلت: يا عبد الله ، لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ، فاردت ان اعرف عملك ، فلم أرك تعمل عملا كثيرا . فما الذى بلغ بك ذلك ؟ فقال ما هو الا ما رأيت . فلما وليت دعانى فقال : ما هو الا ما رأيت ، غير أنى لا اجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا ، على خير أعطاه الله اياه . قال عبد الله ، فقلت له : هى التى بلغت بك ، وهى التى لا نطيق .

● وقد ورد فى الاثر ، عن بعض السلف ، انه قال : أول خطيئة كانت هى الحسد .. حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته ، فأبى أن يسجد له ، فحمله الحسد على المعصية .

● وحكى أن عوف بن عبد الله ، دخل على الفضل بن المهلب، وكان يومئذ على واسط . فقال : انى اريد أن أعظك بشىء . فقال: ما هو ؟ قال : اياك والكبر ، فانه أول ذنب عصى الله به ، ثم قرأ :

(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) (١) الآية . واياك والحرص ، فانه أخرج آدم من الجنـــة ، أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض ، يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها ، فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ، ثم قرأ :

(اهبطوا منها) (٢) الى آخر الآية .

واياك والحسد ، فانما قتل ابن آخاه حين حسده ، ثم قرأ :

(واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ..) (٣) الآيات . واذا ذكر

---

(١) البقرة : الآية ٣٤ .
(٢) البقرة : الآية ٣٨ .
(٣) المائدة : ٢٧ .

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك . واذا ذكر القدر فاسكت . واذا ذكرت النجوم فاسكت .

●● وقال ابن سيرين رحمه الله : ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا ، لانه ان كان من أهل الجنة ، فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة ؟ وان كان من أهل النار ، فكيف أحسده على على امر الدنيا وهو يصير الى النار ؟

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتى لا تكون من أهـــل الحسد المذموم وهو تمنى زوال نعمة الغير من اخوانك وهذا حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر أو كافر ، وهو يستعين بها على تهييج الفتنة ، وافساد ذات البين ، وايذاء الخلق ، فـــلا يضرك كراهتك لها ، ومحبتك لزوالها .

وحسبك أن شئت ان تكون حاسدا أن يكون حسدك محمودا وذلك لا يكون الا فى اثنتين كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :

● **(لا حسد الا فى اثنين : رجـــل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس)(١)**
ثم فسر ذلك فى حديث أبى كبشة الانمارى ، فقال :

● (مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لى مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الاجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لى مثل فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء (٢)) .

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .
(٢) الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

●● واذا كان هناك أخا الاسلام من يحسدك حسدا مذموما فأصبر عليه ، كما يقول أحدهم :

اصــــبر على حســـــد الحسود
فــان صـــــــبرك قاتـــــله
النـــــار تأكـــــل بعضــــها
ان لــم تجـــــد مـــا تأكـــــله

●● واستعن على ذلك كذلك بالمعوذتين — وهما قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس — فما تعوذ متعوذ بمثلهما كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف ، وكذلك بهذا الدعاء الوارد أيضا عن الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وهو :

(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) .



٣ — الكبر والعجب :

حياء من الله تبارك وتعالى ، وذلك لانهما من اخطر امراض القلوب التى تؤكد عدم الحياء من الله تبارك وتعالى ، ومن الناس .. بل ومن الحفظة الكرام أم الكاتبين :

فقد قال على كرم الله وجهه لابنه الحسن عليه رضوان الله : استحى من ثلاث : استحى من مطالعـــة الله اياك وانت مقيم على ما يكره ، واستحى من الحفظة الكرام الكاتبين ، واستحى منصالحى المؤمنين .

ولهذا ، فقد ذم الله تعالى الكبر فى مواضع كثيرة من كتـــابه الكريم ، منها قوله تعالى :

● **(سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق)** (١) ، وقوله :

● **(كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) (٢)** ، وقوله :

● **(واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد)** (٣) وقوله :

● **(انه لا يحب المستكبرين) (٤)** .

●● كما عذر النبى صلى الله عليه وسلم كذلك ، منه ، فقال :

● **(لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان) (٥)** .

● (تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم ؟ فقال الله للجنة : انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : انما أنت عذابى اعذب بك من اشار ولكل واحدة منكما ملؤها) (٦) .

ومن أجمل الآثار التى أحفظها :

---

(١) الاعراف : ١٤٦ .
(٢) غافر : ٣٥ .
(٣) ابراهيم : ١٥ .
(٤) النحل : ٢٣ .
(٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود .
(٦) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

● قول على كرم الله وجهه : مال ابن آدم والكبر : أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو ما بين ذلك وذاك يحمل العذرة .

مال ابن آدم والكبر : تقتله شرقة وتنتنه عرقة ، وتؤلمه بقة .

● وقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه : لا يحقرن أحد أحد من المسلمين ، فان صغير المسلمين عند الله كبير .

● وقول الحسن رضى الله عنه : العجب من ابن آدم بغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات .

●● وأما عن الخيلاء واظهار آثار الكبر فى المشى وجرالثياب فقد ورد فيه كذلك : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

● **(لا ينظر الله الى رجل : يجر ازاره بطرا)** (١) ، وقوله :

● **(بينما رجل يتبختر فى بردته اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة) (٢) .**

●● ومن الآثار ، ورد عن أبى بكر الهزلى ، قال : بينما نحن مع الحسن ، اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة ، وعليه حباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه ، وانفرج عنها قباؤه ، وهو يمشى يتبختر . اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثانى عطفه ، مصعر خده ، ينظر فى عطفيه . أى حميق أنت ، تنظر فى عطفيك ، فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدى حق الله منها ! والله أن يمشى أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون ، فى كل عضو من اعضائه لله نعمة

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .
(٢) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

وللشيطان به لفتة . فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه . فقال : لا تعذر الى رتب الى ربك . أما سمعت قول الله تعالى :

● **(ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) (١) .**

● ويروى ان مطرف بن عبد الله ابن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز ، فقال : يا عبد الله ، هذه مشية يبغضها الله ورسوله .

فقال له المهلب : أما تعرفنى ؟ فقال : بلى أعرفك ، او لك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة تذرة ، وأنت بين ذلك تحمل العذرة . فمضى المهلب وترك مشيته تلك .

●● فاذا كر كل هذا أخا الاسلام وانتفع به حتى تكون من المتواضعين لا من المتكبرين المتبخترين .

فقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

● **(ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله)** ، وقال (٢) :

● **(الكرم التقوى ، والشرف التواضع ، واليقين الغنى) (٣)**

●● وقد روى فى الآثار : قول عمر رضى الله عنه :

ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته ، وقال : انتعش رفعك

---

(١) لقمان : الآية ١٨ .

(٢) الحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين مرسلا ، واسند الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الاسناد .

الله . واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله فى الارض ، وقال : اخسأ خسأك الله . فهو فى نفسه كبير ، وفى أعين الناس حقير ، حتى انه لا حقد عندهم من الخنزير .

● وكان أحد الصالحين المتواضعين اذا قارن بينه وبين من يكبره فى السن يقول : هذا الرجل خير منى لانه سبقنى الى الاسلام واذا قارن بينه وبين من يصغره فى السن يقول : هــذا الرجل خير منى لأننى سبقته الى الذنوب .

●● فليكن كل هذا أخا الاسلام سببا فى تواضعك ، وحسبك قول القائل :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظــــره
على صـــفحات المـــاء وهو رفيع
ولاتك كالدخـــان يعـــلو بنفســه
الى طبقات الجــو وهــو وضـــيع

٤ ــ الحرص والطمــع :

لأنهما كذلك من المهلكات المؤكدات عدم الحياء من الله تبارك وتعالى .. بل هما من أهم أسباب الخسران .. كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

● **(يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) (١) .**

فهذا الخسران المشار اليه فى نهاية هذه الآية ما كان الا بسبب هذا اللهو الذى ما كان الا بسبب الحرص والطمــع اللذين ما كانا الا بسبب ضعف الايمان وعدم الرضا بما قسم الله تعـــالى بتلك الصورة التى شغل هذا الخاسر بها عن الذى فرض عليه ، مع أنه

---

(١) المنافقون : الآية ٩ .

لو كان مؤمنا بمعنى الكلمة لنفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها لرجل سأله أن يوصيه :

● **(لا تنشأ غل عما فرض عليك بما ضمن لك ، فانه ليس بفائتك ما قسم لك ولست بلا حق مازوى عنك) .**

ولكنه عدم الايمان المطلق بأنه :

● **(.. ما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها) (١) .**

وعدم الايمان الكامل بقول الله تعالى :

● **(ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٢) .**

لأنه لو كان هناك الايمان المطلق أو الكامل بكل هـذا الذى لاشك فيه فى قلوب المؤمنين لما كان هناك حرص أو طمع .. ولهذا : كان لابد وان يقتنع الانسان هذا بما اعطاه الله تعالى ، وكان لا بد وأن يضع حدا لهذا الطمع حتى يريح نفسه .. كما يشير الى هذا الامام الشافعى رضى الله عنه فى قوله :

أمت مطـامعى فـأرحت نفسى
فان النفس ما طمعت تهـون
وأحييت القنـوع وكان ميتا
وفى احيائه عرضى مصـون
اذا طمـع يحـل بقلب عبد
علتـه مهـانة وعـلاه هون

● وكان يقـول :

---

(١) هود : الآية ٦ .
(٢) الذاريات : الآية ٥٨ .

انا ان عشت لست أعــدم قوتا
او ان مت لست أحـــــرم قــبرا
همتى همــــــة الكــــرام ونفسى
نفس حـــــــر نرى المــذلة كفرا

●● هذا : مع ملاحظة أن الطمع هو الفقر الحاضر .. كمـــا جاء فى نص حديث شريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فيه محذرا داء الطمع :

● **(.. وأياك والطمع فانه الفقر الحاضر) .**

كما كان صلوات الله وسلامه عليه يوصى بعكس ذلك فيقول :

● **(الا ايها الناس اجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة)** (١) ، وكان يقول :

● **(طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به)** (٢) ويقول :

● **(ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس)** (٣)

●● فليكن كل هذا أخا الاسلام نصب عينيك حتى لا تكون من أهل الحرص والطمع ، وحتى تكون على عكس هذا من القناعة .. وتأمل معى كذلك قول الحكيم :

---

(١) الحديث رواه الحاكم من حديث جابر بنحـــوه وصحح اسناده .

(٢) الحديث رواه الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من حديث فضالة بن عبيد الله .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

العيش ساعات تمر
وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه
واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه
ذاهب وياقوت ودر

● وقول الآخر :

حتى متى أنا فى حل وترحال
وطول سعى وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا
عن الاحبة لا يدرون ما حالى
بمشرق الارض طورا ثم مغربها
لا يخطر الموت من حرص على بال
ولو تنعت اتانى الرزق فى دعة
ان القنوع الغنى لا كثرة المال

● وقول الآخر :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقر

● ولله در القائل :

أذا أراد الله بعبد خيرا : ألهمه الطاعة ، والزمه القناعة ، وفقهه فى الدين ، وقواه باليقين ، فاكتفى بالكفاف ، واكتسى بالعفاف .

واذا أراد بعبد شرا : حبب اليه المال ، وبسط له الامال ، ورغبه فى الدنيا وزهده الآخرة ، فركب الفساد وظلم العباد .

●● هذا ، وإذا كنت أخا الاسلام قد درت معك ــ بتوفيق من الله تعالى ــ حول الآية التى يقول الله تعالى فيها :

(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

فاننى أريد أن أذكرك كذلك بأن الرأس يحتوى على عضــو من أخطر الاعضاء التى تتطلب منك ــ كعاقل يرجو الســـلامة ــ حراسة مشددة والا أوردك المهالك .. الا وهو :

اللســـــان

الذى لئن تسلم من شروره الا اذا أمسكته عن القيل والقال .

وهذا هو ما أشار اليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف قال فيه لعقبة بن عامر رضى الله عنه وكان قــد سأله : يا رسولَ الله ما النجاة ؟ فقال له ولكل فرد من افراد أمته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

● (امسك عليك لسانك ، وليسعك بيتــك ، وابك على خطيئتك) (١) .

كما قال أيضا لمعاذ بن جبل رضى الله عنه ، وكان قد سأله عن العمل الذى ان عمله كان من اهل الجنة ، وكان من الناجين من النار . . فدله على كل تلك الاعمال . . ثم قال له فى نهاية هــذا الحديث الشريف الذى رواه الترمذى وقال عنه انه حديث حسن صحيح .

● (. . الا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ يقولُ معاذ : قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا . **يقول معاذ** :

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

قلت : يا نبى الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقـــال : **ثكلتك أمـــك** (١) .

وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ، أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم .

والى هذا المعنى الكبير يشير الامام على كرم الله وجهـه فى قوله :

● (من كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قلَ ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار) (٢) .

ولهذا ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

● **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت)(٢)**

وقال :

● **(رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم) (٣) .**

●● فلاحظ كل هذا اخا الاسلام ونفذ المراد منه حتى تفوز بالسلامة المشار اليها فى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذى وقفت **عليه** .

●● ولكى يتحقق لك هذا بصورة ايجابية :

---

(١) أى فقدتك أمك ، وتلك مداعبة من النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وليست دعاء عليه .

(٢) حديث متفق عليه .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف .

١ ـ امسك لسانك عن الخوض فى الباطل :

وهو الكلام فى المعاصى ، كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق ، وتنعم الاغنيـــاء ، وتجبر الملوك ، ومراسمهم المذمومة ، واحوالهم المكروهة : فان كان ذلك (١) ممـا لا يحل الخوض فيه ، وهو حرام .

ففى الحديث يقول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خـــوضا فى للباطل)** (٢) ، واليه الاشارة فى قول الله تبارك وتعالى :

● **(وكنا نخوض مع الخائضين)**(٣) وقوله تعالى :

● **(فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهـــم)(٤) .**

٢ ـ وامسك لسانك عن المراء والجدال :

وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير ، باظهار خلل فيه اما فى اللفظ ، واما فى المعنى ، واما فى قصد المتكلم .

وأما المجادلة ، فعبارة عن قصد افحام الغـــير ، وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ، ونسبته الى القصور والجهل فيه ..

وكلاهما منهى عنه :

---

(١) كما يقول فى احياء علوم الدين .

(٢) اخرجه ابن أبى الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبرانى موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح.

(٣) المـــدثر : ٤٥ .

(٤) النساء : ١٤٠ .

ففى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه) (١) ،**

وقال :

● **(من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ، ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة)** (٢) . وقال :

● **(ما ضل قوم بعد ان هداهم الله الا أوتوا الجدل) (٣) .**

●● فلاحظ هذا أخا الاسلام ، واترك المراء ، وذلك بترك الانكار والاعتراض . وكذلك الجدال لانه غالبا يؤدى الى الفتنة .

٣ ـ وامسك لسانك عن الخصومة :

وهى اللجاج فى الكلام .. وهى مذمومة لانها توغر الصـــدر وتهيج الغضب .

● ففى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :

(ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم) (٤) .

● وقد قال بعض الصالحين محذرا من الخصـــومة : اياك والخصومة ، فانها تمحق الدين .

●● قال فى احياء علوم الدين : فان قلت : فاذا كان للانسان

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف ، وقال الترمذى حسن .

(٣) من حديث أبى امامة وصححه الترمذى وزاد بعد هدى كانوا عاليه .

(٤) رواه البخارى .

حق فلا بد له من الخصومة فى طلبه ، أو فى حفظه ، مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته .

فاعلم ان هذا الذم الذى يتناول الذى يخاصم بالباطل ، والذى يخاصم بغير علم ، مثل وكيل القاضى ، فانه قبل أن يتعرف أن الحق فى أى جانب ، وهو يتوكل فى الخصومة من أى جانب كان فيخاصم بغير علم . وأتناول الذى يطلب حقه ، ولكنه لا يقتصرعلى قدر الحاجة ، بل يظهر اللدود فى الخصومة ، على قصد التسلط ، أو على قصد الايذاء .

ويتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ، ليس يحتاج اليها فى نصرة الحجة ، واظهار الحق . ويتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد ، لقهر الخصم وكسره ، مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال . وفى الناس من يصرح به والقول ، انماقصدى عناده وكسر عرضه ، وانى ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى . وهذا مقصودة اللدد والخصومة واللجاج ، وهو مذموم جدا .

فأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع ، من غير لدد واسراف وزيادة لجاج ، على قدر الحاجة ، ومن غير قصد عناد وايذاء ، ففعله ليس بحرام ، ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب . واذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين ، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه، ويحزن بمسرته ، ويطلق اللسان فى عرضه . فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات . وأقل ما فيه تشويش خاطره ، حتى أنه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه ، فلا يبقى الأمر على حد الواجب .

فالخصومة مبدأ كل شر ، وكذا المراء والجدال . فينبغى أن

لا يفتح بابه الا لضرورة ، وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة ، وذلك متعذر جدا ، فمن اقتصرعلى الواجب فى خصومته ، الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه ، لأن عنده ما يكفيه ، فيكون تاركا للاولى ، ولا يكون آثما . ثم يقول فى الاحياء : نعم أقل ما يفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام ، وما ورد فيه من الثواب اذا اقل درجات طيب الكلام اظهار اوافقة ، ولا خشـــونة فى الكلام اعظـم من الطعن والاعتراض ، الذى حاصله اما تجهيل ، واما تكذيب . فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه ، فقد جهله أو كذبه ، فيفوت به طيب الكلام ... وقد قال الله تعالى فى قرآنه :

● **(وقولوا للناس حسنا) (١) .**

٤ ــ وأمسك لسانك عن التقعر فى الكلام :

والمراد به التشدق ، وتكلف السجع والفصاحة ، والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات ، وما جرت به عادة المتفاصحين ، المدعين للخطابة . وكل ذلك من التصنع المذموم ، ومن التكلف المقـوت ، المشار اليه فى الحديث الشريف الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه :

● **(ان ابغضكم الى وابعدكم عنى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام) (٢) .**

● **(ألا هلك المتنطعون) (٣)** ثلاث مرات . والتنطع هو التعمق والاستقصاء .

---

(١) البقرة : الآية ٨٣ .

(٢) رواه الترمذى من حديث جابر وحسنه ، وهو عند أحمد من حديث أبى ثعلبة بلفظ (ان أبغضكم الى الله ..) .

(٣) رواه مسلم من حديث ابن مسعود .

قال فى الاحياء : ولا يدخل فى هذه تحسين ألفاظ الخطابة ، والتذكر من غير افراط واغراب ، فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها ، وقبضها وبسطها ، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه ، فهو لائق به . فأما المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات ، فلا يليق بها السجع والتشدق ، والاشتغال به من التكلف المذموم ، ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ، ويزجر عنه .

٥ ــ وامسك لسانك عن الفحش والسب وبذاءة اللسان :

لأن هذا مذموم ومنهى عنه ، ومصدره الخبث واللؤم . ففى الحديث يقول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش)** (١) ، وفى الحديث :

● **(ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء)** (٢) ، وفى الحديث :

● **(الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها) (٣) .**

ويقول جابر بن سمرة رضى الله عنه :

---

(١) فى الكبرى فى التفسير والحاكم وصححه من حديث عبدالله ابن عمر ورواه ابن عيان من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه الترمذى باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه ...

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو .

كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى أمامى ، فقـال صلى الله عليه وسلم :

● **(ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام فى شىء وان أحسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا)(٤) .**

ويقول ابراهيم بن ميسرة : يقال يؤتى بالفاحش يوم القيامة فى صورة كلب أو فى جوف كلب . كما يقول الأحنف بن قيس :

الا أخبركم بأدواء الداء ، اللسان البذىء ، والخلق الدنىء . فهذه مذمة الفحش .

ثم يقول بعد ذلك فى الاحياء ــ بتصرف :

فأما حـده وحقيقته ، فهو التعبير عن الامـور المستقبحة بالعبارة الصريحة . وأكثر ذلك يجرى فى ألفاظ الوقاع وما يتعلق به . فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه ، وأهل الصلاح يتحاشوا عنها ، بل يكنون عنها ، ويدلون عليهـا بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها ... الى أن يقول :

وكذلك يستحسن فى العادة الكناية عن النساء ، فلا يقال قالت زوجتك كذا ، بل يقال قيل فى الحجرة ، أو من وراء الستر ، أو قالت أم الأولاد ، فالتلطف فى هذه الالفاظ محمود ، والتصريح فيها يفضى الى الفحش .

وكذلك من به عيوب يستحيا منها ، فلا ينبغى أن يعبر عنها بصريح لفظها ، كالبرص ، والقرع ، والبواسير ، بل يقال العارض الذى يشكوه ، وما يجرى مجراه ، فالتصريح بذلك داخل فى الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان .

---

(١) رواه أحمد وابن أبى الدنيا باسناد صحيح .

٦ ـ وامسك لسانك عن اللعن :

أما الحيوان أو جماد أو انسان ، لأن كل ذلك مذموم ، **ففى** الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● **(المؤمن ليس بلعان)** (١) ، ويقول :

●**(لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم) (٢) .**

● وقال حذيفة : ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول .

● وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره ، اذا أمرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها ، فلعنتها . فقال صلى الله عليه وسلم :

(خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة) (٣) .

قال : فكأنى أنظر الى تلك الناقة تمشى بين الناس ، لايتعرض لها أحد .

● وقال أبو الدرداء : ما لعن أحد الارض الا قالت : لعن الله اعصانا .

وفى الحديث يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)(٤).**

---

(١) الحديث رواه الترمذى من حديث ابن عمر .

(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح من حديث سمرة بن جندب ، ورواه أبو داود .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم من حديث أبى الدرداء من حديث عمر بن حصين .

وفى الاحياء يقول بعد ذلك :

واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى ، وذلك غير جائز الا على من اتصف بصــفة تبعده من الله عز وجل ، وهو الكفر والظلم ، أن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين . ثم يقول: ينبغى ان يتبع فيه لفظ الشرع ، فان فى اللعنة خطرا ، لانه حــكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون ، وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ، ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أطلعه الله عليه .

والصفات المقتضية للعن ثلاثة :
الكفر ، والبدعة ، والفسق . وللعن فى كل واحدة ثلاثة مراتب :

الأولى : اللعن بالوصف الأعم ، كقولك : لعنــة الله على الكافرين والمبتدعين ، والفسقة .

الثانية : اللعن بأوصاف أخص منه ، كقولك : لعنة الله على اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وعلى القدرية ، والخــوارج ، والروافض ، أو على الزناة ، والظلمة ، وآكلى الربا ، وكل ذلك جائز ، ولكن فى لعن أوصاف المبتدعة خطر ، لأن معرفة البدعــة غامضة ، ولم يرد فيه لفظ مأثور ، فينبغى أن يمنع منه العوام ، لأن ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا .

الثالثة : اللعن للشخص المعين ، وهذا فيه خطر ، كقولك : زيد لعنه الله ، وهو كافر ، أو فاسق ، أو مبتدع ، والتفصيل فيه ، ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا ، فتجوز لعنته ، كقولك فرعون لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله ، لانه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا . أما شخص بعينه فى زماننا ، كقولك زيد لعنه الله ، وهو يهودى مثلا فهذا فيه خطر . فانما ربما يسلم ، فيموت مقربا عند الله ، فكيف يحكم بكونه ملعونا ؟ .. الخ .

٧ ــ وامسك لسانك عن المزاح :

لأن اصله مذموم ومنهى عنه ــ كما يقول فى الاحياء ــ الا اذا كان قدرا يسيرا فانه يستثنى منه .

ففى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(لا تمار أخاك ولا تمازحه) (١) .**

فالمنهى عنه من المزاح فى الحديث هو الافراط فيـــــه ، أو المدامة عليه لأن هذا يورث كثرة الضحك . وكثرة الضحك تميت القلب ، وتورث الضغينة فى بعض الاحوال ، وتسقط المهابةوالوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم :

فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

● **(انى لامزح ولا أقول الا حقا) (٢) .**

وروى أبو هريرة انهم قالوا يا رسول الله ، انك تداعبنا ، فقـــال :

● **(انى وان داعبتكم لا اقول الا حقا) (٣) .**

● وقال زيد بن أسلم : ان امرأة يقال لها أم أيمن ، جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان زوجى يدعوك . فقـــال : (ومن هو ؟ أهو الذى بعينه بياض) .

قالت والله ما بعينه بياض . فقال :

(بلى ان بعينه بياضا) فقالت : لا والله .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) حديث صحيح .
(٣) رواه الترمذى وحسنه .

فقال صلى الله عليه وسلم : **(ما من أحد الا وبعينه بياض)(١)** واراد به البياض المحيط بالحدقة .

● وجاءت امرأة أخرى فقالت :

يا رسول الله ، احملنى على بعير . فقال :

(بل نحملك على ابن البعير) .

فقالت ما اصنع به ؟ انه لا يحملنى .

فقال صلى الله عليه وسلم : **(ما من بعير الا وهو ابن بعير)(٢)** فكان يمزح به .

وقال أنس : كان لأبى طلحة ابن يقال له أبو عمير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول :

(يا أبا عمير ما فعل النغير) (٣) :

النغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور .

●● فليكن مزحك من هذا النوع .. واعذر ان يكون مزحك من النوع المذموم .

واذكر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

من كثر ضحكه ، قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرق به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر

---

(١) رواه الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبى الدنيا .

(٣) الحديث متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أنس .

سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة ، قال صلى الله عليه وسلم :

● **(لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا) (١) .**

وتذكر كذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

اتقوا الله واياكم والمزاح ، فانه يورث الضغينة ، ويجر الى الى القبيح . تحدثوا بالقرآن ، وتجالسوا به ، فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال .

وقال عمر رضى الله عنه : أتدرون لم سمى المـــزاح مزاحا ؟ قالوا : لا . قال : لأنه أزاح صاحبه عن الحق .

وقيل : لكل شيء بذور ، وبذور العداوة المزاح ، ويقال :

المزاح مسلبة للنهى ، مقطعة للاصدقاء .

٨ ـ وأمسك لسانك عن السخرية والاستهزاء :

لانه محرم ومنهى عنه ، كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

● **(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) (٢) .**

ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص ، على وجه يضحك منه . وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى العقل والقول ، وقد يكون بالاشارة والايماء .

---

(١) الحديث متفق عليه .
(٢) الحجرات : الآية ١١ .

وقال معاذ بن جبل : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

● **(من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يفعله)** (١)

وكل هذا يرجع الى استحقار الغير ، والضحك عليه استهانة به واستصغارا له . وعليه نبه قوله تعالى :

● **(عسى ان يكونوا خيرا منهم)** ، اى لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك . وهذا انما يحرم فى حق من يتأذى به . .

٩ ــ وامسح لسانك عن افشاء السر :

وهو منهى عنه ، لما فيه من الايذاء ، والتهاون بحق المعارف والاصدقاء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● **(اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة)**(٢) ، وقال مطلقا :

● **(الحديث بينكم امانة)** (٣) .

وقال الحسن : ان من الخيانة أن تحدث بسر أخيك .

قال فى الاحياء : فافشاء السر خيانة ، وهو حرام اذا كان فيه اضرار ، ولؤم ان لم يكن فيه اضرار .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، حتى لا تكون مفشيا للسر فتكون من أهل الخيانة . . والعياذ بالله .

---

(١) رواه الترمذى دون قوله : قد تاب منه ، وقال : حسن غريب وليس اسناده بمتصل .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

١٠ ــ وامسك لسانك عن الوعد الكاذب :

لأنه من أمارات النفاق ، ففى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان) (١)** ، ويقــــول :

● **(اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر) (٢) .**

وهذا ــ كما يقول فى الاحياء ــ : ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف ، أو ترك الوفاء من غير عذر . فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء ، لم يكن منافقا ، وان جرى عليه ما هو صورة النفاق .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، وكن من المؤمنين المخاطبين بقول الله تعالى :

● **(يا ايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) (٣) .**

وتذكر ثناء الله تعالى على نبيه أسماعيل عليه السلام ، فى قــوله :

● **(انه كان صادق الوعد) (٤) .**

---

(١) الحديث متفق عليه عن ابى هريرة رضى الله عنه .
(٢) الحديث متفق عليه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .
(٣) سورة المائدة : الآية ١ .
(٤) سورة مريم : الآية ٥٤ .

فقد قيل : انه وعد انسانا فى موضع ، فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسى ، فبقى اسماعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره .

١١ ــ وأمسك لسانك عن الكذب فى القول واليمين :

لأنه من فواحش العيوب ، وقبائح الذنوب .

قال اسماعيل بن واسط ، سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ، ثم بكى وقال :

● **(اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار) (١) .**

وقال عليه الصلاة والسلام :

● **(كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق مصدق وانت له به كاذب) (٢) .**

وقال عليه الصلاة والسلام :

● **(لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) (٣) .**

وقال عليه الصلاة والسلام :

● **(ان التجار هم الفجار)** فقيل : يا رسول الله ، اليس قد أحل الله البيع ؟ قال :

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة .. واسناده حسن .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الادب .

(٣) الحديث متفق عليه .

(نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون) (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم ، وكان متكـ ئا :

● **(الا أنبئكم باكبر الكبائر ؟ الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين)** ثم قعد وقال : **(الا وقول الزور)** (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

● **(من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان) (٣) .**

ومن الآثار التى ذكرها أيضا فى الاحياء حول ها الموضوع :

● قول على كرم الله وجهه : اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة .

● وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

أحبكم الينا ما لم نركم أحسنكم اسما فاذا رأيناكم فأحبكم الينا أحسنكم خلقا ، فاذا اختبرناكم فأحبكم الينا اصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة .

● وقول الشعبى رحمه الله : ما ادرى أيهما ابعد غورا فى النار ، الكذاب أو البخيل .

● وقول مالك بن دينار رحمه الله :

قرأت فى بعض الكتب ، ما من خطبته الا وتعرض خطبته على

---

(١) الحديث رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن شبل .

(٢) الحديث متفق عليه من حديث ابى بكرة .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود

عمله ، فان كان صادقا صدق ، وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقارض من نار ، كلما قرضنا نبتتا .

● وقوله أيضا رحمه الله :

الصـدق والكذب يعتركان فى القلب ، حتى يخـرج أحدهما صاحبـه .

١٢ ــ وأمسك لسانك عن الغيبـة :

وحسبك نهيا عنها ، قول الله تعـالى :

● **(ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب أحدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه)(١) .**

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(كل المسلم على المسـلم حـرام دمه وماله وعرضه) (٢)**

والغيبة تتناول العرض ، وقد جمع الله بنيه وبين المال والدم .

● **(لا تحاسـدوا ولا تباغضوا ولا تناجشـوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا) (٣) .**

● **(مررت ليلة اسرى بى على اقـوام يخمشون وجـوههم باظافرهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى اعراضهم) (٤) .**

● وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتهن ، فقال :

---

(١) الحجرات الآية ١٢ .

(٢) رواه مسلم من حديث ابى هريرة .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وأنس دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا .

(٤) الحديث رواه أبو داود مسندا أو مرسلا والمسند أصح.

● **(يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته) (١) .**

وقال جابر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما ، فقال :

● **(انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ، اما احدهما : فكان يغتاب الناس ، وأما الآخر : فكان لا يستنزه من بوله)** فدعابجريدة رطبة أو جريدتين ، فكسرهما ، ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال :

(اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا) (٢) .

●● وحد الغيبة ــ كما يقول فى الاحياء ــ :

أن تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه ، أو فى خلقه ، او فعله ، او فى قوله ، أو فى دينه ، او فى دنياه ، حتى فى ثوبه ، وداره ، ودابته :

أما البدن ، فكذكرك العمش ، والحول ، والقرع ، والقصر ، والطول ، والسواد ، والصفرة ، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان .

---

(١) الحديث رواه ابن أبى الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد .

(٢) الحديث رواه ابن أبى الدنيا وأبو العباس الدغولى باسناد جيد ، وهو فى الصحيحين من حديث ابن عباس الا انه ذكر فيه النميمة بدل الغيبة ...

أما النسب ، فبأن تقول : ابوه نبطى ، أو هندى ، أو فاسق أو خسيس ، او اسكاف ، او زبال ، او شيء مما يكرهه كيفما كان .

وأما الخلق ، فبأن تقول : هو سيء الخلق ، بخيل ، متكبر ، مراء ، شديد الغضب ، جبان ، عاجز ، ضعيف القلب ، متهور ، وما يجرى مجراه .

وأما فى افعاله المتعلقة بالدين ، فكقولك : هو سارق ، أو كذاب ، أو شارب خمر ، او خائن ، او ظالم ، أو متهاون بالصلاة أو الزكاة ، أو لا يحسن الركوع ، أو السجود ، او لا يحترز من النجاسة ، أو ليس بارا بوالديه ، او لا يضع الزكاة موضعها ، أو لا يحسن قسمتها . . .

وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك : انه قليل الادب ، متهاون بالناس ، او لا يرى لاحد على نفسه حقا ، أو يرى لنفسه الحق على الناس ، أو انه كثير الكلام ، كثير الاكل ، نؤم ينام فى غير وقت النوم ، ويجلس فى غير موضعه .

وأما فى ثوبه ، فكقولك : انه واسع الكم ، طويل الذيل ، وسخ الثيـــاب .

ثم يقول بعد ذلك فى الاحياء ما خلاصته :

وقال قوم : لا غيبة فى الدين ، لانه ذم ما ذمه الله تعالى ، فذكره بالمعاصى ، وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكرت له امرأة ، وكثرة صلاحها وصومها ، ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال : **(هى فى النار)** . وذكرت عنـــده امرأة اخرى بأنها بخيلة ، فقال : **(هى خير منها)** (١) . ثم يقول فى

---

(١) الحديث رواه ابن حبان والحاكم وصححه من حـــديث ابى هريرة .

الاحياء معلقا : فهذا فاسد ، لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الأحكام بالسؤال ، ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم . والدليل علبه ، اجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حد اللغيبة : وكل هذا ، وان كان صادقا فيه ، فهو به مغتاب ، عاص لربه ، وآكل لحم أخيه ، بدليل ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم : قال : **(هل تدرون ما الغيبة)** قالوا الله ورسوله أعلم . قال :

(ذكرك اخاك بما يكرهه) .

قيل : أرأيت ان كان فى أخى ما اقوله ؟

قال : (ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته) (١) .

وقال الحسن : ذكر الغير ثلاثة : الغيبة ، والبهتان ، والافك

وكل فى كتاب الله عز وجل .. فالغيبة : ان تقول ما فيه . والبهتان: أن تقول ما ليس فيه . والافك : أن تقول ما بلغك ...

ثم يقول فى الاحياء ، تحت عنوان :

بيان : ان الغيبة لا تقتصر على اللسان :

اعلم أن الذكر باللسان ، انما حرم لأنه فيه تفهيم الغير نقصان أخيك ، وتعريفه بما يكرهه ، فالتعريض به كالتصريح ، والفعل فيه كالقول ، والاشارة ، والايماء ، والغمز ، والكتابة ، والحركة وكل ما يفهم المقصود ، فهو داخل فى الغيبة ، وهو حرام .

فمن ذلك ، قول عائشة رضى الله عنها ، دخلت علينا امرأة ،

---

(١) الحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

فلما ولت ، أومأت بيدى أنها قصيرة ، فقال عليه السـلام :
(اغتبتها) (١) .

ومن ذلك المحاكاة ، كأن يمشى متعارجا ، أو كما يمشى فهو غيبة ، بل هو أشد من الغيبة ، لأنه أعظم فى التصوير والتفهيم .. وكذلك الغيبة بالكتابة ، شخصا معينا ، وتهجين كلامه فى الكتاب غيبة ، الا أن يقترن به شىء من الاعذار المحوجة الى ذكره .. وأما قوله : قال قوم كذا ، فليس ذلك غيبة ، انمـا الغيبة التعرض لشخص معين اما حى واما ميت .. ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم ، أو بعض من رأيناه ، اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا ، لأن المحذور تفهيمه ، دون ما به التفهيم . فأما اذا لم يفهم عينه جاز .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا كره من انسان شيئا ، قال :

(ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا) (٢) .

فكان لا يعين . وقولك : بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم ، ان كان معه قرينة تفهم عـين الشخص ، فهى غيبـة .

ومن ذلك أن يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول : سبحان الله ما اعجب هذا ، حتى يصغى اليه ، ويعـلم

---

(١) الحديث رواه ابن أبى الدنيـا وابن مرذويه من رواية حسان بن مخارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات .
(٢) الحديث رواه أبو داود من حديث عائشة .. ورجاله رجال الصحيح .

ما يقول . فيذكر الله تعالى ، ويستعمل اسمه آلة له فى تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله عز وجل يذكره جهلا منه وغرورا ...

ومن ذلك الا صغاء الى الغيبة على سبيل التعجب ، فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة ، فيندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة عنه بهذا الطريق ، فيقول : عجب ما علمت انه كذلك ، ما عرفته الى الآن الا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا ، عافانا الله من بلائه . فان كل ذلك تصديق للمغتاب ، والتصديق بالغيبة غيبة ، بل الساكت شريك المغتاب ، قال صلى الله عليه وسلم :

(المستمع احد المغتابين) (١) .

الى ان يقول بعد ذلك فى الاحياء ، تحت عنوان :

* * *

بيان الأعذار المرخصة فى الغيبة

اعلم ان المرخص فى ذكر مساوىء الغير هو غرض صحيح فى الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع بذلك اثم الغيبة ، وهى ستة أمور :

اولا : التظلم ، فان من ذكره قاضيا بالظلم ، والخيانة ، واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا ان لم يكن مظلوما . أما المظلوم من

---

(١) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة . وهو ضعيف .

جهة القاضى فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم ، اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به . قال صلى الله عليه وسلم :

● (**ان لصاحب الحق مقالا**) (١) .

الثانى : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى الى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضى الله عنه ، فسلم عليه ، فرد يرد السلام ، فذهب الى أبى بكر رضى الله عنه ، فذكر له ذلك ، فجاء أبو بكر اليه ليصلح ذلك ، ولم يكن ذلك غيبة عندهم .

الثالث : الاستفتاء ، كما يقول المفتى : ظلمنى ابى ، أو زوجتى أو أخى ، فكيف طريقى فى الخلاص ، والاسلم التعريض ، بأن يقول : ما قولك فى رجل ظلمه أبوه ، او اخوه ، او زوجته . ولكن البعيين مباح بهذا القدر ، لما روى عن هند بنت عتبة ، انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : ان أبا سفيان رجل شحيح ، لايعطينى ما يكفينى أنا وولدى ، أفآخذ من غير علمه ؟ فقال :

● (**خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف**) (٢) .

فذكرت الشح ، والظلم لها ولولدها ، ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء .

الرابع : تحذير المسلم من الشر ، فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع أو فاسق ، وخفت أن تتعدى اليه بدعته وفسقه . فلك أن تكشف له بدعته وفسقه ، مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره . وذلك موضع الغرور . اذ قد يكون الحسد هو الباعث ، ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .
(٢) الحديث متفق من حديث عائشة .

الخلق ... وكذلك المستشار فى التزويج ، وايداع الامانة ، له أن يذكر ما يعرفه عن قصد انصح للمستشير ، على قصـد الوقيعة فان علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك ، فهو الواجب وفيه الكفاية . وان علم أنه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه ، فله أن يصرح به ... وكانوا يقولون : ثلاثة لاغيبة لهم : الامام الجائر ، والمبتدع ، والمجاهر بفسقه .

الخامس : ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن غيبه ، كالاعرج ، والأعمش ، فلا اثم على من يقول ، روى أبو الزناد عن الأعرج ، وسلمان عن الاعمش ، وما يجرى مجراه . فقد فعـل العلماء ذلك لضرورة التعريف ، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه ، بعد أن قد صار مشهورا به ، نعم ان وجد غنه معدلا ، وأمكنه التعريف بعبارة أخرى ، فهو أولى . وذلك يقال للاغمى البصير ، عدولا عن اسم النقص .

السادس : أن يكون مجاهرا بالفسق ، كالمخنث ، وصاحب الماخور ، والمجاهر بشرب الخمر ، ومصادرة الناس ، وكان ممن يتظاهر به ، بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ، ولا يكره أن يذكر به فلا اثم عليك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● **(من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له) (١) .**

وقال عمر رضى الله عنه : (ليس لفاجر حرمة) : واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر ، اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته .

ثم يشير فى الاحياء فى ختام حديثه عن الغيبة الى ملاحظة هامة فيقول ، تحت عنوان :

---

(١) رواه ابن عدى وأبو الشيخ فى كتاب ثواب الاعمال من حديث أنس بسند ضعيف .

بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ، ويتأسف على ما فعله، ليخرج به من حق الله سبحانه . ثم يستحل المغتاب، ليحله فيخرج من مظلمته . وينبغى أن يستحله وهو حزين ، متأسف ، نادم على فعله اذ المرائى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ، وفى الباطن لا يكون نادما ، فيكون قد تارف معصية اخرى . وقال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال . وربما استدل فى ذلك بما روى أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● **(كفارة من اغتبته أن تستغفر له)** (١) ، وقال مجاهد :

كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه ، وتدعو له بخير .

وسئل عطاء بن أبى رباح عن التوبة من الغيبة ، فقال : أن تمشى الى صاحبك فتقول له : كذبت فيما قلت ، وظلمتك ، وأسأت فان شئت آخذت بحقك ، وان شئت عفوت . وهذا هو الأصح .

وعلى الجملة — كما يقول فى نهاية هـــذا البيان ، فالعفو أفضل . قال الحسن : اذا جثت الأمم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة ، نودوا : ليقم من كان له أجر على الله . فلايقوم الا العافون عن الناس فى الدنيا . وقد قال الله تعالى :

● **(خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين)** (٢) ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس بسند ضعيف .

(٢) الاعراف : الآية ١٩٩ .

(يا جبريل ما هذا العفو ؟) فقال : ان الله تعالى يأمرك ان تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك .

وروى عن الحسن ، ان رجلا قال له : ان فلانا قد اغتابك ، فبعث اليه رطبا على طبق ، وقال : قد بلغنى انك أهديت الى من حسناتك ، فأردت أن أكافئك عليها ، فاغفر لى فانى لا اقدر أن اكافئك على التمام .

١٣ ــ وأمسك لسانك عن النميمة :

وحدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه ، أو المنقول اليه ، أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقــول أو بالكتابة ، أو بالرمز ، أو بالايماء ، وسواء كان المنقول من الاعمال أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيبا ونقصا فى المنقول عنه ، أو لم يكن . بل حقيقة النميمة افشاء السر ، وهتك الستر عمـــا يكره كشفه .

وحسبك اخا الاسلام تحذيرا لك من النميمة قول الله تعالى :

● **(هماز مشاء بنميم)** (١) وقوله بعد ذلك :

● **(عتل بعد ذلك زنيم)** (٢) : فقد قال عبد الله بن المبارك : الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث ، وأشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ، دل على انه ولد زنا ، استنباطا من قوله عز وجل : **(عتل بعد ذلك زنيم)** ، والزنيم هو الدعى . وقال تعالى :

● **(ويل لكل همزة لمزة)** (٣) ، فقد قيل : الهمزة النمام ، وقال تعالى :

---

(١) ، (٢) سورة القلم : الآية ١١ ، ١٣ .
(٣) سورة الهمزة الآية ١ .

● **(حمالة الحطب)** (١) ، فقد قيل انها كانت نمامة ، حمالة للحديث ، وقال تعالى :

● **(فخانتاهما فلم يغنيا من الله شيئا)** (٢) ، فقد قيل : كانت امراة لوط تخبر بالضيفان ، وامراة نوح تخبر أنه مجنون .

وحسبك تحذيرا لك كذلك ما تشير اليه الاحاديث الشريفة الآتية :

● **(لا يدخل الجنة نمام)** (٣) ، وفى حديث آخر :

● **(لا يدخل الجنة فتان)** والفتان هو النمام .

وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أحبكم الى الله احاسنكم اخلاقا الموطئون اكفانا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة ، والمفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات) (٤) وقال : .

● **(الا أخبركم بشراركم ؟)** .

قالوا : بلى . قال : **(المشاؤن بالنميمة ، المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب)** (٥) .

●● ومن الاثار الواردة فى هذا الموضوع — والتى ذكرها الامام الغزالى رحمه الله فى الاحياء — ما نصه :

---

(١) سورة المسد الآية ٤ .
(٢) سورة التحريم : الآية ١٠ .
(٣) الحديث متفق عليه من حديث حذيفة .
(٤) رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير عن ابى هريرة .
(٥) رواه أحمد من حديث أبى مالك الاشعرى .

● روى كعب الاحبار ، أن بنى اسرائيل أصابهم قحط ، فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا . فأوحى الله تعالى اليه ، انى لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام ، قد أصر على النميمة .

فقال موسى ، يارب من هو ؟ دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا. قال : يا موسى ، انهاكم عن النميمة واكون نماما ! فتابوا جميعا ، فسقوا .

● ويقال : اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه ، قال : انى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم ، اخبرنى عن السماء وما أثقل منها ؟ وعن الأرض وما أوسع منها ؟ وعن الصخر وما أقسى منه ؟ وعن النار وما أحر منها ؟ وعن الزمهرير وما ابرد منه ؟ وعن البحر وما أغنى منه ؟ وعن اليتيم وما أذل منه ؟ فقال له الحكيم : البهتان على البرىء أثقل من السموات ، والحق أوسع من الأرض ، والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النار ، والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من الحجر ، والنمام اذا بان أمره اذل من اليتيم .

●● فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى يكون زاجرا لك عن النميمة .. وحتى تكون منفذا كذلك لما أوصاك به ــ الامام الغزالى فى الاحياء ــ وهو :

أولا : أن لا تصدق النمام لانه فاسق ومردود الشهادة ، كما يشير الى هذا قول الله تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا آن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (١) .**

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٦ .

ثانيا : أن تنهاه عن ذلك ، وتنصح له ، وتقبح عليه فعله ، كما يأمرك الله تعالى بذلك فى قوله : (**وأمـــر بالمعروف وانه عن المنكر**) (١) .

ثالثا : أن تبغضه فى الله تعالى ، لأنه بعيض عند الله تعالى ، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

رابعا : أن لا تظن بأخيك الغائب السوء ، لقول الله تبـــارك وتعالى :

(اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم) (٢) .

خامسا : أن لا يحملك ما حكى لك ــ النمام ــ على التجسس والبحث لتتحقق من قوله .. وحسبك تحذيرا لك من هذا قول الله تعالى :

(.. ولا تجسسوا ..) (٣) .

سادسا : أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ، ولا تحكى نميمته ، فتقول : فلان قد حكى لى كذا أو كذا ، فتكـــون به نماما ومغتابا ، وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت .

●● ونفذ كذلك ما فعله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، يوم أن دخل عليه رجل ، فذكر له عن رجل شيئا . فقال له عمـــر ــ رضى الله عنه ــ ان شئت نظرنا فى أمرك ، فان كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية :

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٧ .
(٢) سورة الحجرات : الآية ١٢ .
(٣) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(.. **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ..) (١) ، وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية : (**همــاز مشاء بنميم**) (٢) ، وان شئت عفونا عنك . فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا اعود اليه ابدا .

●● فليكن كل هذا الذى وتفت عليه اخا الاسلام سببا فى امساك لسانك عن كل تلك الآفات المهلكات .. وسببا فى استعمال لسانك فى الخير الذى به تكون من أهل الخير الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، كما يشير الى هذا الحديث الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عله :

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (٣).

وحسبك ان تذكر قول الله تبارك وتعالى :

● **(لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف او اصلاح بين الناس) (٤) .**

وليكن كل همك هو ذكر الله تعالى حتى لا يقترب الشيطان منك فيكون سببا فى وقوعك فى تلك الآفات التى لا هم له الا ان يوقع الناس ، فيها ليكونوا من أصحاب السعير :

● **(انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) (٥) .**

● **(الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء ..) (٦) .**

---

(١) الحجرات : الآية ٦ .
(٢) سورة القلم : الآية ١١ .
(٣) متفق عليه .
(٤) النساء : الآية ١١٤ .
(٥) فاطر : الآية ٦ .
(٦) البقرة : الآية ٢٦٨ .

ولهذا فان اعظم شيء تستطيع أن تتحصن به ضد هذا الشيطان الرجيم ، هو ذكر الله تبارك وتعالى ، كما يشير الى هذا قوله سبحانه :

● **(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) (١) .**

وقد ورد فى رؤيا رآها النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

● **(ورأيت رجلا من امتى قد اعتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطير الشياطين عنه) (٢) .**

واعلم (٣) أن الذكر حقيقة هو ما يجرى على اللسان والقلب واكمله ما كان فيه استحضار معنى الكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفى النقائص عنه ، والمراد به ما يشمل التسبيح والتحميد وتلاوة والقرآن والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك :

قال الفخر الرازى : المراد بذكر اللسان الالفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد (والذكر) بالقلب التفكر فى ادلة الذات والصفات والتكاليف من الامر والنهى ، وفى أسرار مخلوقات الله والذكر) بالجوارح : هو ان تصير مستغرقة بالطاعات ، ولذا سمى الله تعالى الصلاة ذكرا فى قوله تعالى :

(.. فاسعوا الى ذكر الله ..) (٤) .

---

(١) الزخرف : الآية ٣١ .

(٢) من حديث صحيح .

(٣) كما جاء فى الدين الخالص الجزء الاول .

(٤) الجمعة : الآية ٩ .

هذا ، والذكر سبعة اقسام : ذكـــر العينين البكاء ، وذكر الاذنين الاصغاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر القلب الخوف والرجاء ، وذكر الروح التسليم والرضا .

(واعلم) أن الذكر أفضل الاعمال :

● فعن أبى الدرداء رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :

(الا أخبركم بخير أعمالكم ، وازكاها عند مليككم ، وارفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والورق (١) وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال: ذكر الله تعالى) أخرجه مالك واحمد والترمذى وابن ماجـــه والحاكم وصححه .

● وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال :

(ما عمل ابن آدم عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله) أخرجه أحمد والترمذى وابن أبى شيبة والطبرانى بسند صحيح .

● وعن الأغر أبى مسلم أنه قال : شهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى — رضى الله عنهما — أنهما شهدا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

(لايقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمـــة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهـــم الله فيمن عنـــده) أخرجه أحمد ومسلم والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

---

(١) (الورق) بفتحى الواو وكسر الراء وتسكن : الفضة .

(واعلم) أن الدعاء ذكر وزيادة ، وقد ورد الامر به ، قال تعالى : **(وقال ربكم ادعونى استجيب لكم ..)** (١) .

●● فلتكن مكثرا من الذكر والدعاء ، ولا سيما بهذا الدعاء الجامع الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم لام المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وهو :

● **(اللهم انى اسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم اعلم . اللهم انى اسالك من خير ما سالك عبدكونبيك. واعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك . اللهم انى أسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل ، واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل . وأسالك ان تجعل كل قضاء قضيته لى خيرا)** أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححاه .

●● واذا أردت أخا الاسلام أن تكون من المستجاب لهم ، فكن من آكلى الحلال .. وكن من المطيعين لله تعالى لان الله كما ورد فى الحديث الشريف : قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى :

● **(يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)** (٢) .

وقال تعالى :

● **(يا ايها الذن آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)** (٣) .

وتأمل معى كذلك القائل :

---

(١) غافر : الآية ٦٠ .

(٢) المؤمنون : الآية ٣١ .

(٣) البقرة : الآية ١٧٢ .

كيف ندعـــو الاله فى كل كـــــرب
ثم ننســـــاه عنـــــد كشف الكروب
كيف نرجـــــو اجـــابة لـــــدعاء
قـــــد ســـددنا طريقهـــا بذنـــوب

●● وأما عن :

حفـــظ البطـــن

المشار اليه فى الحديث ــ حق الحياء ــ الذى ندور حوله .. فالمراد به حفظه من الحرام الذى ينبغى أن لا يدخل بطنك ابدا كمؤمن يرجو النجاة من النار .. كما يشير الى هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه :

● **(كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به) (١) .**

ومن أجمل ما قرات فى توضيح هذا :

ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان لا يأكل طعاما ، ولايشرب شرابا ، ولا يلبس لباسا ، ولا يقتنى متاعا ، الا اذا عرف أنه قد أتاه عن طريق حلال، حتى يبارك الله فيه ، وكان من عادته أن يســـأل خادمه عن مصدر ما يحضره له من طعام أو شراب ، وفى يوم من الايام اشتد الجوع بأبى بكر ، فأكل من الطعام الذى أحضره له خادمه دون أن يسأله عن مصدره ، فتعجب الخادم ، وسأله : يا سيدى ، لقد كنت تسألنى كل يوم عن مصدر الطعام فما بالك اليوم لم تسألنى كعادتك .. ؟ ! !

---

(١) ورد مغتاب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى حديث رواه ابو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط والبيهقى .

فتوقف أبو بكر عن تناول الطعام خائفـــا مضطربا ، وقال لخادمه : لقد أتانى الجوع ذلك ، فمن أين جئت به ؟ فقال الخادم : كنت تكهنت لانسان (١) فى الجاهلية فأعطانى هذا الطعام .

فأدخل الصديق أصابعه فى فمه وجعل يتقيأ ما اكل وهـــو يصيح : لقد كدت تهلكنى يا غلام ... ثم أخذ يدعو الله ويقول : اللهم اغفر لى ما شربت العروق واختلط بالدماء .. لأنه لا يستطيع اخراجه . فقيل له : انفعل كل ذلك من أجل هذه اللقيمات ؟ فقال : والله لو لم تخرج الا مع روحى لاخرجتها ، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

(كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به) . ولقد خشيت أن ينبت شىء من جسدى من هــذه اللقيمات الحــرام فأصــير بسببها الى النار (٢) .

●● وهذا هو المعنى الكبير الذى أردت أن أوضحه للاخ المسلم ــ القارىء ــ حتى يتشبه بهؤلاء الرجال الاوائل الذين نفذوا أمر الله تعالى فى قوله :

● **(يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا وقودهــا الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم يفعلون ما يؤمرون)** .

والذين فهموا المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الشريفة الاتية :

● عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

---

(١) أى زاولت له عمل الكهان وهو الاخبار عمــا يقــع فى المستقبل .

(٢) كما ورد فى نص حديث رواه البخارى عن عائشة .

(الحـــــلال بين (١) ، والحرام بين (٢) بين وبينهمـــا مشتبهات(٣) لا يعلمهـن كثير من النـاس ، فمن اتقى الشبهـات استبرأ لدينه وعرضه (٤) ، ومن وقع في الشبهات (٥) وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتفع فيه ، الا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه ، الا وان في الجسد مضـغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب) ــ رواه البخارى ومسلم ، والترمذى ، ولفظه :

(الحلال بين ، والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات لايدرى كثير من الناس أمن الحلال هى أم من الحرام ؟ فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم ، ومن واقع شيئا منها يوشك أن يواقع الحرام كما أنه من يرعى حول الحمى أو شك أن يواقعه ، ألا وان لكل حمى ، الا وان حمى الله محارمه) وأبو داود باختصار ، وابن ماجه .

وفى رواية لأبى داود والنسائى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

(ان الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ،

---

(١) أى ظاهر لا خفاء فيه لورود النص الصريح بحله .

(٢) أى ظاهر كذلك لاخفاء فيه لورود النص الصريح بحرمته.

(٣) أى تحامى الوقوع فيها وابتعد عنها .

وفى رواية (مشتبهات) بالباء المشدودة المفتوحة ، أى شبهت بغيرها وهى ما لم يتبين حكمها على التعيين .

(٤) أى طلب البراءة لدينه من النقص ولعرضه من العيب والذم وفيه دليل على أن من لم يتوق الشبهة فى كسبه ومعاشه فقد عرض نفسه للطعن فيه .

(٥) أى تشتبه ويلتبس أمرها لا يدرى من الحلال أم من الحرام

وسأضرب لكم فى ذلك مثلا : ان الله حمى حمى ، وان حمى الله ماحرم وانه من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالطـــه ، وان من يخــالط الريبة (١) يوشك أن يخسر) .

وفى رواية للبخارى والنسائى :

(الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهة ، فمن ترك ما شبه عليه من الاثم كان لما استبان (٢) أترك (٣) ، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الاثم أوشك أن يواقع ما استبان ، والمعاصى حمى الله ، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه) .

ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس ولفظه :

● (الحلال بين ، والحرام بين ، وبين ذلك شبهات) (٤) ، فمن أوقع بهـــن(٥) فهو قمن(٦) أن يأثم ، ومن اجتنبهن فهـــو أوفر لدينه كمرتع الى جنب حمى ، وحمى الله الحرام) .

فهذا الحديث الشريف ـــ على اختلاف رواياته ـــ كما يقول فى الترغيب والترهيب (٧) .

---

(١) أى الأمور التى هى موضع ريبة وشك .

(٢) أى وضح وظهر .

(٣) أى أشد تركا وهجرا .

(٤) جمع شبهة وهى ما يكون محل شك وتردد ولا يمكن معه الجزم بالحكم .

(٥) أى واقع الشبهات وخالطها .

(٦) قمن بفتح القاف وكسر الميم : اى جدير وحقيق كما فى قوله صلى الله عليه وسلم (وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فيه فانه قمن ان يستجاب لكم) .

(٧) المكان الخصب الذى ترعى فيه الماشية والاغنام .

قد أجمع العلماء على عظم موقعه ، وانه أحد الأحاديث الأربعة التى عليها مدار الاسلام .

فحول قوله صلى الله عليه وسلم : (كالراعى يرعى حول الحمى يوشك — أى يكاد — أن يرتع فيه) ، قال فى الفتح :

(ضرب على سبيل التمثيل لأن ملوك العرب كانوا يحمون لرعى مواشيهم أماكن مخصوصة يتوعدون من يرعى فيها بغير اذنهم بالعقوبة الشديدة فمثل لهم النبى صلى الله عليه وسلم بما هو مشهور عندهم ، فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه فى شىء منه ، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره .

وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه فلا يأمن أن تنفرد الفاذة فتقع فيه بغير اختياره ، فالله سبحانه وتعالى هو الملك حقا ، وحماه محارمه ، والمراد بالمحارم فعلَ المنهى المحرم ، أو ترك المأمور الواجب) ا هـ .

كما يقول فى الفتح حول المعنى الاجمالى لهذا الحديث :

(فيه تقسيم الأحكام الى ثلاثة اشياء .. اما ان ينص الشارع على طلبه مع الوعيد على تركه ، أو ينص على تركه مع الوعيد على فعله ، أو لا ينص على واحد منهما .. فالأول : الحلال البين ، والثانى : الحرام البين ، والثالث : مشتبه لخفائه فلا يدرى هل حلال أو حرام ، وما كان هذا سبيله ينبغى اجتنابه لأنه ان كان فى نفس الأمر حراما فقد برىء من تبعته ، وان كان حلالا فقد أجر على تركه بهذا القصد ، لأن الأصل فى الاشياء مختلف فيه هل الخطر أو الاباحة) ا هـ .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتى لا تقع فى الحرام فتخسر دنياك واخراك .

● وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

(البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك (١) فى صدرك وكرهت أن يطلع عليها لناس (٢)) . رواه مسلم .

وهذا الحديث (٣) على وجازته يقدم لنا قاعدة عظيمة للتمييز بين ما هو من جلس البر وما هو من جنس الاثم فيضع لكل منهما ضابطا وحدا يعرف به ما يدخل تحته من أفراد ، وقد حصر البر كله فى حسن الخلق للاشادة به ، ولأن من حسن خلقه يسعد أن يقارف شيئا من الاثم ، وجعل كل ما يتلجلج فى الصدر من قبيل الاثم لأن البر من شأنه أن تستريح له النفس .

● وعن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله أخبرنى ما يحل لى ويحرم على ؟ قال :

(البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ، ولم يطئن اليه القلب ، وان افتاك المفتون) رواه أحمد باسناد جيد .

ففى اجابته صلى الله عليه وسلم لوابصة ــ حديث آخر (٤) ــ وأبى ثعلبة فى هذا الحديث : دليل على حكمته التى اختص بها فهو ـ **جوامع** كلمه التى تعبر عما لا حصر لها من المعانى فى الفاظ قليلة

---

(١) أى جال وتردد .

(٢) يعنى ان كل ما يجد المرء فى صدره حسيكة منه ويكره اطلاع الناس عليه عند عمله هو من الاثم .

(٣) كما يقول الشيخ الهراس فى هامش الترغيب والترهيب.

(٤) رواه أحمد باسناد حسن بنفس المضمون وارد نصه فى الترغيب والترهيب عن وابصة بن معبد رضى الله عنه .

فانه لو ذهب صلى الله عليه وسلم يعد دله الحلال والحرام لا نتشر الكلام ولم تستطع ان تستوعبه الافهام فاكتفى من ذلك بوضع هذا الميزان الذى لا يضل ولا يجوز ليرجع اليه المؤمن فى كل ما التبس عليه من **الأمور** .

ومعنى وان افتاك المفتون :

يعنى مهما أفتاك الناس فلا تعول الا على ما تجده فى نفسك فان وجدت راحة وطمأنينة فتلك علامة البر ، وان وجدت قلقا وترددا تلك أمارة **الاثم** .

● وعن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لا يبلغ العبد أن يكـــون من المتقين (١) حتى يدع مالا باس به حذراً لما باس به)** رواه الترمذى وقال : حديث حسن (٢) ، وابن ماجه ، والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

قال المناوى معلقا على هذا الحديث :

(أى يترك فضول الحلال عذرا من الوقوع فى الحرام ، ويسمى هــذا ورع المتقين ، وهذه الدرجة الثــانية من درجات الورع . قال عمر بن عبد العزيز بأنفه من ريح المسك الذى لبيت المال وقال : يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة ويعطى ما عليه بزيادة حبة . ولذلك أخذ عمر بن عبد العزيز بأنفه من ريح المسلك الذى لبيت المال وقال : هل ينتفع الا بريحه ، ومن ذلك النظر الى تحمل أهل الدنيا فانهيحرك داعية الرغبة فيها) ا هـ .

●● فاذكر كل هذا أخا الاسلام واجعله نصب عينيك مـــع

---

(١) يعنى لا يصل الى كمال التقوى وحقيقتها .

(٢) وكذلك قال (غريب) .

تنفيذك له وانتفاعك به حتى تكون من الاتقياء الورعين القـانعين بالحلال الذى من الله تعالى عليك به ، وحتى تكون من أهل الحلال لا من أهل الحرام ، لأن من عرف الحرام معرفته حرام .

اذا أراد الله بعبد خيرا الهمه الطاعة ، والزمه القناعة ، وفقهه فى الدين ، وقواه باليقين : فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف .

واذا أراد بعبد شرا : حبب اليه المال ، وبسط له الامال ، ورغبه فى الدنيا ، وزهده فى الآخرة : فركب الفساد وظلم العباد .

وأحذر أن تكون كهذا المشار اليه فى قول الشاعر :

جمـــع الحــرام على الحلال ليكثره
دخــل الحرام على الحـلال فبعثره

●● وكذلك :

احفظ فرجك من الحـرام

فهو من محتويات بطنك التى أمرت بحفظها من الحرام . . . وحسبك ان فعلت ذلك أن تكون من أهل الفلاح المشار اليهم فى قول الله تبارك وتعالى :

● (**قد افلح المؤمنون : الذين هم فى صـلاتهم خاشعون ● والذين هم عن اللغو معرضون ● والذين هـم للزكاة فاعلون ● والذين هم لفروجهم حافظون**) أى : يحفظـون فروجهم من الزنى (**الا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهـم**) أى . الا من ازواجهـم بالنكاح ، أو امائهم بملك اليمين (**فانهم غير ملومين**) أى : فانهم غير موبخين على ذلك ولا مـذمومين (**فمن ابتغى وراء ذلك**) أى : فمن التمس لفرجه منكحا ، سـوى زوجته وملك يمينه (**فاولئك هم**

العادون) أى : فأولئك هم الجازون ما احل الله لهم ، الى ما حرم عليهم .

●● فلا تكن أخا الاسلام من العادين المجازين ما احل الله لهم الى ما حرم عليهم .

وحسبك أن تقرأ معى هذه الاحاديث الشريفــــة الواردة فى الترهيب من الزنا ، والترغيب فى حفظ الفرج ، والتى أرجو أنتكون سببا فى حفظ فروجنا جميعا كمؤمنين يخشون غضب الله ويرجون رحمته .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذا زنى الرجل خرج منه الايمان ، فكان عليه كالظلة (١) ، فاذا اقلع(٢) رجع اليه الايمـــان) رواه أبو داود واللفظ له والترمذى والبيهقى والحاكم(٣) ، ولفظه ، قال :

(من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من راسه) .

وفى رواية للبيهقى : قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : **(ان الايمان سر بال (٤) يسربله الله من يشاء ، فاذا زنى**

---

(١) أى يكون فوق راسه كالظلة وهى بالغم ما يستظل به من حر أو برد .

(٢) أى تاب وكف عن الوقوع فى الفاحشة .

(٣) وقال فى شرح الجامع (حديث صحيح) .

(٤) هو القميص أو كل ما يلبس وجمعه سرابيل .

العبد نزع منه سربال الايمان ، فان تاب رد عليه) .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

(اذا ظهر الزنا والربا فى قرية (١) فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) (٢) رواه الحاكم (٣) ، وقال : صحيح الاسناد .

● وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أى الذنب أعظم عند الله (٤) ؟ قال : أن تجعل الله ندا (٥) ، وهو خلقك ، قلت : ان ذلك لعظيم ، ثم أى قال : ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك (٦) ، قلت : ثم أى ؟ قال: أن تزانى حليلة جارك) (٧) رواه البخارى ومسلم ، ورواه الترمذى والنسائى .

وفى رواية لهما : وتلا هذه الآية :

● **(والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)(٨) .**

---

(١) أى كثر وانتشر فيها من غير حياء ولا نكير .

(٢) أى أوجبوه على أنفسهم بما ارتكبوه من معاصى الله .

(٣) وكذلك رواه الطبرانى وقال شارح الجامع (وهو حديث صحيح) .

(٤) أى أشد اثما وعقوبة .

(٥) أى مساويا فى استحقاق العبادة .

(٦) أى خوفا من أن يشاركك فى طعامك .

(٧) أى زوجة جارك .. والمراد ان تزنى بها ، والمزاناة مفاعلة من الجانبين .

(٨) سورة الفرقان .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يا شباب قريش : احفظوا فروجكم ، لا تزنوا (١) ، الا من حفظ فرجه ، فله الجنة) (٢) رواه الحاكم والبيهقى ، والحاكم : صحيح على شرطهما .

وفى رواية للبيهقى : **(يا فتيان قريش (٣) لا تزنوا ، فانه من سلم له شبابه دخل الجنة)** .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذا صلت المـرأة خمسها(٤) ، وحصنت فرجها(٥) ، واطاعت بعلها (٦) : دخلت من أى ابواب الجنة شاءت) (٧) رواه ابن حبان فى صحيحه .

---

(١) نهى مؤكد لحفظ الفروج .
(٢) فان الزنا أكثر ما يدخل الناس النار .
(٣) ليس المراد خصوص فتان قريش بل هو أمر للشباب المسلم كله .. وقد خص شباب عشيرته لانهم أولى الناس بنصحه .
(٤) يعنى الصلوات الخمس المكتوبات ، وفى رواية زيادة : (وصامت شهرها) .
(٥) أى من وطء غير حليلها .
(٦) أى زوجها فى غير معصية الله عز وجل .
(٧) يعنى فتحت لها ابواب الجنة الثمانية تدخل من أيها شاءت .

● وعن سهل بن سعيد رضى الله عنه ، قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم :

(من يضمن لى ما بين لحيته (١) ، وما بين رجليه (٢) تضمنت له بالجنة) (٣) رواه البخارى واللفظ له ، والترمذى وغيرهما .

● وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(اضمنوا لى ستا (٤) من انفسكم اضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، واوفوا اذا وعدتم ، وادوا اذا ائتمنتم ، واحفظــــوا فروجكم ، وغضوا ابصاركم ، وكفوا أيديكم) رواه احمد وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد .

● فليكن كل هذا أخا الاسلام نصب عينيك حتى تحفظ فرجك وحتى تكون كذلك كما عرفت من المؤمنين حقا .. وأرجوا كذلك أن اذكرك كمؤمن ، وان أذكر الاخت ــ القارئة ــ كمؤمنة بقول الله تبارك وتعالى فى قرآنه :

● (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ● وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ..) (٥) .

---

(١) يعنى لسانه فيكفه عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والبذاء ونحو ذلك .

(٢) يعنى فرجه : فلا يضعه الا حيث أحل الله له .

(٣) اى تكفلت له بدخول الجنة .

(٤) يعنى ست خصال ، وفى رواية : (تكفلوا لى بست) .

(٥) النور : الآية ٣٠ ، ٣١ .

وذلك لأنه كما يقول الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظـــــر
ومعظـــم النـــار من مستصغر الشرر

●● وأما عن :

ذكر المــوت والبِــلى

فهو حقيقة لابد منها ، ولا بد وان تؤمن بها .. لأن الله تبارك وتعالى قد أخبرنا بها فى قرآنه وعلى لسان نبيه صلوات اللهوسلامه عليه .. ولاننا كذلك قد شاهدناها كثيرا وكثيرا ، فى غدونا ورواحنا وفى أعز أقربائنا .. الخ :

ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى مشيرا ومذكرا ببداية الانسان ونهايته :

● **(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ..)** الى قوله تبارك وتعالى في سورة المؤمنون :

(ثم انكم بعــد ذلك لميتــون) : اى : ثم انكم ــ أيها الناس ــ بعد انشائكم عائدون ترابا **(ثم انكم يوم القيامة تبعثون)** : اى : ثم بعد موتكم مبعثون من التراب خلقا جديدا .

فتلك حقيقة لا بد ان نؤمن بها حتى نعمل ألف حساب لها ولما بعدها ..

وقد اقسم النبى صلى الله عليه وسلم على هــذا فقال فى

---

(١) من الآية ١١ ــ ١٦ .

خطبة له : (١)

● **(.. والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا ، وانها لجنة أبدا او لنار ابدا)** .

ولهذا كان لا بد وأن يذكر المؤمن بصفة خاصة الموت والبلى حتي يكون من أهل الحياء الحق ، وحتى يخرج حب الدنيا من قلبه والا كان من : **(الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون يحسنون صنعا)** (٢) ، وحسبه ان فعل هذا ــ والعياذ بالله ــ انه سيكون من الاخسرين اعمالا .

ولهذا فقد حذرنا الله تعالى جميعا كمؤمنين من الانشغال بالدنيا عن الاخرة ، فقال تعالى :

● **(يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون)**(٣) : أى : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، وعن الصلوات الخمس .. ومن يلهه ماله واولاده عن ذكر الله ، فأولئك هم المغبونون حظوظهم ، من كرامته ورحمته تبارك وتعالى :

والحياة الدنيا بكل ما فيها من متاع لهو ولعب ، كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

● **(اعلموا أن الحياةا لدنيا لعب ولهو وزينة)** اى : اعلموا

---

(١) ذكرها الحلبى فى السيرة .
(٢) الكهف : الآية ١٠٤ .
(٣) المنافقون : الآية ٩ .

ايها الناس ان متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم ، ما هى الا لعب ولهو
ايها الناس ان متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم ، ما هى الا لعب ولهو
تتفكهون به ، وزينة تتزينون بها ، **(وتفاخر بينكم)** اى : يفخــــر
بعضكم على بعض بما تتزينون بها ، **(وتفاخر بينكم)** اى : يفخــر
اى : ويباهى بعضكم بعضا بكثرة الاموال والاولاد **(كمثــل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا)** اى : كمثل غيث أعجب الزارع نباته ، ثم ييبس فتراه مصفرا ، بعد أن كان اخضرا نضرا **(ثم يكون حطاما)** اى : ثم يكون تبنا يابسا متهشما **(وفى الآخرة** عذاب واما جنة **(وما الحياة الدنيا الا متــاع الغرور)** (١) اى : شديد للكفار ، ومغفرة من الله ورضوان لاهل الايمان ، فالآخرة اما
عذاب واما جنة **(وما الحياة الدنيا الا متــاع الغرور)** (١) اى :
وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس الا متاع الغرور — قال ابن كثير : اى هى متاع فان ، يغتر بها من يعتقد أنه لا دار سواها ، ولا معاد وراءها وهى حقيرة قليلة بالنسبة للدار الآخرة(٢) وفى الحديث الشريف : **(موضــع سوط فى الجنة خــير من الدنيا وما فيهـــا)**(٣) .

●● ومن اجــل ذلك كما أشرت ــ سابقا ــ كان لابد وأن يعتبر المؤمن نفسه ضيفا فى هذه الحياة الأولى ، وكان لابد وأن يعتبر نفسه غــريبا فيها .. والى هــذا يشير الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف الصحيح (٤) الذى يقول

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٠ .
(٢) المختصر ٣ /٤٥٣ .
(٣) اخرجه البخارى فى الرقاق والامام احمد فى المسند .
(٤) الذى رواه البخارى .

فيه لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

● (.. **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**) وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول معلقا على هذه الوصية ــ كما جاء فى نص الحديث ــ : (**اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك**) : اى كما يقول النووى فى شرح الأربعين النووية : لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها الا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه الى أهله .. وهذا معنى قول سلمان الفارسى رضى الله عنه : أمرنى خليلى صلى الله عليه وآله وسلم أن لا أتخذ من الدنيا الا كمتاع الراكب .. ومما قيل فى هذا المعنى :

أتبنى بناء الخالدين وانما
مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الأراك كفاية
لمن كان فيها يعتريه رحيل

ولهذا ، كما قرأت ــ فى نص الحديث ــ فقد علق ابن عمر رضى الله عنهما بما وقفت عليه ، لأنه فهم المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ان الدنيا لا بقاء لها :

ترجو البقاء بدار لا بقاء لها
وهل سمعت بظل غير منتقل

وهذا هو المطلوب منا أن نفهمه وأن نتفق عليه كعقلاء حتى نزهد فى الدنيا بمعنى أن نخرج حبها من قلوبنا .. فقد قال العلماء

فى التعريف بحقيقة الزاهد : ليس الزاهد من لا مال عنده بل الزاهد من لم يشغل المال قلبه وان أوتى مثل ما أوتى قارون .

وحتى لا اطيل عليك فى هذا التقديم فاننى أذكـــرك ونفسى بالاضافة الى هذا الذى وقفت عليه ببعض الاحاديث الشريفة التى يذكرنا فيها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بضرورة أن نذكر الموت والبلى .

● فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أكثروا ذكرها ذم اللذات (١) يعنى الموت)** رواه ابن ماجه ، والترمذى وحسنه ، ورواه الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن وابن حبان فى صحيحه ، وزاد :

(فانه ما ذكره أحد فى ضيق الا وسعه ، ولا ذكره فى سعة الا ضيقها عليه) .

أى(٢) : ما وقـــع أحد فى شدة ثم ذكر الموت الا هانت عليـــه شدته وقوى على احتمالها .. وكذلك ما ذكره أحد فى سعة وبسطة من العيش الا قللها فى عينه وحماه من الافتتان بها .. ويؤخذ من الحديث استحباب الاكثار من الموت ، ويتأكد ذلك فى حق المريض.

● وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، قال :

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أوصنى ، قال : **(عليك بالاياس مما فى أيدى الناس فانه الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وانت مودع ،**

---

(١) قال السيوطى : بالذال المعجمة اى قاطعها .
(٢) كما يقول فى هامش الترغيب والترهيب .

وأياك وما يعتذر منه) رواه الحاكم والبيهقى فى الزهـــد ، وقال الحاكم واللفظ له : صحيح الاسناد .

وصل صلاتك وانت مودع : أى : اذا صليت صلاة فاعتبرها آخر صلاة لك وانك ستموت بعدها .

● وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : مر بى النبى صلى الله عليه وسلم وانا أطين (١) حائطا أنا وأمى ، فقال : (ماهذا يا عبد الله ؟ فقلت : يا رسول وهى (٢) فنحن نصلحه ، فقال : الامر أسرع من ذلك) : يعنى انك لا تبقى فى الدنيا الى أن يسقط هـــذا الحائط لو تركته بلا اصلاح ، بل العمر اقصر وأسرع من ذلك .

وفى رواية قال : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نعالج خصالنا وهى ، فقال : ما هـــذا ؟ فقلنا : خص لنـــا وهى ، فنحن نصلحه . فقال : ما أرى الأمر الا أعجل من ذلك) رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث صحيح وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

●● وحسبى كذاك أن أذكرك ونفسى ببعض الآثار الموضوعية التى منها :

● أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، كان يجمع كل ليلة الفقهاء ، فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

● وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظنى ، فقال :

---

(١) يقال طانه وطينه طلاه بالطين ولطخه به .

(٢) وهى ، أى ضعف وأصابه الخلل .

لست اول خلية تموت . قال : زدنى . قال : ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت ، وقد جاءت نوبتك ، فبكى عمر لذلك .

● وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا فى داره ، فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت ، وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد .

وأما عن موضوع البلى ، فقد قرأت كذلك :

● ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، خرج ذات يوم مع جمع من المسلمين يشيع جنازة .. فتوقف فى طريقه بين القبور عن مواصلة المسير مع المشيعين .. فقال له أحدهم : يا أمير المؤمنين .. لم تخلفت عن الجنازة وانت وليها ؟ فقال : نعم ، نادانى القبر من خلفى : يا عمر بن عبد العزيز .. الا تسألنى ما صنعت بالاحبة قلت : بلى . قال : أحرقت الاكفان ، ومزقت الابدان ، ومصصت الدم ، واكلت اللحم .. ثم قال : الا تسألنى ما صنعت بالاوصال ؟ قلت : بلى . قال : نزعت الكفين من الذراعين ، والذراعين من العضدين ، والعضدين من الفخذين ، والفخذين من الركبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين ، ثم بلى وابلى من معه ..

فاذا كان الامر كذلك أخا الاسلام .. فليكن ذكر الموت والبلى دائما وابدا نصب عينيك حتى لا تنسى نهايتك .

وحسبى أن اذكرك فى النهاية بوصية عظيمة قال فيها لقمان الحكيم لولده :

● يا بنى انى موصيك بثمانية أمور ان أنت عملت بها فى الدنيا كنت سعيدا فى الدنيا والاخرة :

احفظ قلبك فى الصلاة .

واحفظ نظرك فى بيوت الناس .

واحفظ لسانك فى مجالس الناس .

واحفظ بطنك من حلقومك .

واذكر اثنين ، وانس اثنين :

اذكر الله والموت ، وانس احسانك الى الناس ، واساءتهم اليك .

● ومن أجل ذلك كان لا بد كذلك وأن :

تؤثر الآخرة على الأولى

وذلك لان الاخرة هى الباقية ، وهى دار القرار .. وصدق الله العظيم فلقد قال :

● **(.. وان الدار الاخـــرة لهى الحيـــوان (١) لو كانوا يعلمون) (٢) .**

واذا كانت الحياة الاخرة هى الحياة الحقيقية — كما تشير هذه الآية الكريمة — فانه من الكياسة أن يعمل الانسان لها وأن يؤثرها على الحياة الدنيا ، كما يشير الى هذا قول الله تبـــارك وتعالى :

● **(بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخـــرة خير وأبقى) ،**

---

(١) أى لهى الحياة الحقيقية .

(٢) العنكبوت : الآية ٦٤ .

أى : بل تفضلون — أيها الناس — زينة الحياة الدنيا على الآخرة وزينة الآخرة خير لكم وابقى ، لان الدنيا فانية ، والآخرة باقية **(ان هذا لفى الصحف الأولى)** ، أى : ان هذه المواعظ المذكورة فى السورة ، مما ذكر فى الكتب الأولى **(صحف ابراهيم وموسى)** (١) ، أى كتب ابراهيم خليل الرحمن ، وصحف موسى بن عمران عليهما الصلاة والسلام .

● وقد جاء فى نص حديث شريف (٢) :

● عن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال : كانت امثالا كلها .. أيها الملك المسلط المبتلى المغرور : انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد على دعوة المظلوم ، فانى لا أردها وان كانت من كافر . وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات : فساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل ، وساعة الخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب .

وعلى العاقل أن لا يكون طاعنا الا لثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم . وعلى العاقل : أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، وحافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه .

---

(١) سورة الأعلى كمن الآية ١٦ — ١٩ .

(٢) وهوالوصية الثالثة (فى كتاب : وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم) . رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال صحيح الاسناد .

قلت : يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هوينصت عجبت لمن رأى ادنيــا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن اليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل . .) الجحديث .

● وقد ورد كذلك أن الله تعالى قال مخاطبا الدنيا فى صحف ابراهيم وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام :

(يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تزينت لهم . . انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك . . ما خلقت خلقا أهون على منك . . انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومى لاحد ولا يدوم لك أحد) .

فليكن كل هذا أخا الاسلام نصب عينيك ، حتى تؤثر الاخرة على الأولى ، وحتى تكون مستعدا للحظة الرحيل الى الدار الثانية وعلى اتم استعداد ، وحتى اذا ما انتهت حياتك الأولى وجاءت ملك الموت كنت فرحا بلقائه عليه السلام ، كبلال رضى الله عنه الذى ورد انه وهو يحتضر كانت ابنته تبكى بجواره وهى تقول : وا أبتاه . . واكرباه . . واحزناه . . فانتبه وهى تقول هذا الكلام فزجرها ونهرها ، ثم قال لها : لا تقولى ذلك . . لا كرب على أبيك بعــد اليوم . . اليوم نلقى الاحبة ، محمدا وحزبه .

واعلم أخا الاسلام ان لحظة الرحيل الى الدار الاخرة قريبة جدا :

● فقد قرأت فى وصية للقمان الحكيم عليه السلام ، قــوله لولده :

يا بنى انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الاخرة فدار انت اليها تسير ، اقرب من دار انت عنها ترحل .

واعلم ، كذلك — أن اليوم الآخر هو يوم القيامة ، وأوله الموت لحديث هانىء مولى عثمان بن عفان ، قال : كان عثمان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتذكر القبر فتبكى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (القبر أول منزل من منازل الاخرة ، فان نجا منه فما بعده أيسر . وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما رأيت منظرا قط الا والقبر افظع منه) أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب ، ورزين وزاد : قال هانىء : سمعت عثمان ينشد :

فان تنج منهـــا تنج من ذى عظيمـــة
والا فانى لا أخالك ناجيـــــا

فاعمل اخا الاسلام على أن تكون من الناجين منهـــا ومن الأهوال التى بعدها . . وذلك لن يكون الا بإيثار الآخرة على الاولى واغتنام كل لحظة فى حياتك الاولى لصالح الاخرة حتى تكون من الفطناء المشار اليهم فى قول على كرم الله وجهه :

ان لله عبـــــادا فطنـــــا
طلقـــوا الدنيـــــا وخافوا الفتنا
نظـــروا فيهـــا فلمـــا علموا
انهـــا ليست لحى وطنـــــا
جعـــلوها لجـــة واتخـــذوا
صـــالح الاعمـــال فيها سفنا

مع ملاحظة . . قول الله تبارك وتعالى :

● **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة)** ، اى : والتمس فيما

اعطاك الله من الاموال ، خيرات الاخرة بالعمل فيها بطاعـــة الله **(ولا تنس نصيبك من الدنيا)** اى : ولا تترك حظك من الدنيا فتعمل بما ينجيك غدا من عقاب الله **(واحسن كما احسن الله اليك)** ، اى : واحسن بانفاق مالك فى وجوعه ، كما احسن الله اليك فوسع عليك **(ولا تبغ الفســــاد فى الأرض ان الله لا يحب المفســـدين) (١)** أى : ولا تلتمس البغى على قومك ، ان الله لا يحب المفسدين فى الارض بالمعاصى .

انك أخا الاسلام ان نفذت كل هذا ان شاء تعالى ستكون فعلا من اهل الحياء الحق وستكون كذلك من الذين أراد الله تعالى بهم خيرا فى دنياهم واخراهم .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنى واياك بما وقفنا عليه من خلال شرح الحديث الذى ندور حوله ، وهو : (حق الحياء) ، وان يجعله حجة لنا لا علينا .

آمين .. آمين .. آمين ..

المؤلف

طه عبد الله العفيفى

المعادى ش ٩ مسجد الفتح

---

(١) القصص : الآية ٧٧ .

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

* * *

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى . قصر العينى .
ت، ٣٥٥١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ٨٧/٣٠٧١

ترقيم دولى ٧ ــ ١٥٥ ــ ١٤٢ ــ ٩٧٧

دار الاعتصام

٨ شارع حسين حجازي ت: [illegible] ص.ب ٤٧٠ القاهرة

للطبع والنشر والتوزيع